محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر سنة أولى علوم إنسانية .

محاضرة رقم 01 : الحكم العثماني بالجزائر (دخول الأتراك وتأسيس الإيالة)

تأسيس الإيالة: منذ منتصف القرن الرابع عشر عانت الدولة الزيانية من هجمات الأيبيريين وذلك بسبب تجزء وضعف مملكة الزيانيين في المغرب الأوسط نتيجة الخلافات العائلية، فالأمراء المستقرون في وهران وتنس ثاروا ضد حكام تلمسان وفي الشرق استقلت بجاية وقسنطينة عن الحكومة المركزية أما الموانئ فقد شكلت "جمهوريات صغيرة "كالجزائر وبونة وجيجل ودلس ...في الهضاب العليا والجنوب كانت الاتحادات القبلية مستقلة عن أي سلطة مركزية أما في منطقة القبائل فقد بدأت إمارات مستقلة بالنشوء، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي. توقفت التجارة وتراجعت الزراعة.

بعد سقوط غرناطة عام 1492 تعززت القوى الأيبيرية)إسبانيا والبرتغال (اقتصاديا وعسكرياً، واستولى الإسبان على عدة موانئ بالساحل الجزائري مما اضطر مدن تنس ومستغانم وشرشال إلى دفع الضرائب وخسرت الجزائر الجزيرة التي تشرف على مينائها .أدى سخط السكان غير الراضين عن حكامهم العاجزين عن الدفاع عنهم إلى ظهور حركات صوفية إزداد نفوذ قادتها والذين ساعدوا فيما بعد "الإخوة بربروس "والعثمانيين على الاستقرار بالمنطقة.

كانت الجزائر ميناء صغير، نما عدد سكانها بشكل كبير مع وصول اليهود الموريسكيون المطرودين من منطقة اسبانيا بعد سقوط غرناطة .أصبحت الجزائر «مملكة» صغير لتصير فيما بعد عاصمة الدولة الجديدة.

استنجاد الجزائريين بالأتراك: بعد ضم الإسبان العديد من المدن الساحلي :المرسى الكبير 1505 ووهران 1509 وبجاية ومدينة الجزائر لم يكن لديها جيش قوي ولا مدفعية كافية لمواجهة الجيش الإسباني فبدأت تشعر بالتهديد، خصوصا بعد أن بنى الإسبان عام 1510م قلعة على واحدة من الجزر المواجهة للمدينة، لذا فان **ملوك الجزائر** سليم التومي وسيدي أحمد أولقاضي نادوا الإخوة "بربروس" لنجدتهم. استقر عروج بربروس أول الأمر بجيجل ثم دخلوا إلى الجزائر في عام 1516 على رأس 1.300 رجل تركي ليصبح سيد المدينة بعد أن ضيق الخناق على سليم. قام عروج بتنظيم إدارة المدينة وعزز نظام الدفاع من خلال بناء عدة تحصينات. ثم فتح كل المناطق الداخلية وغرب الجزائر :متيجة والشلف والتيطري والظهرة والونشريس ثم بعد ذلك مملكة تلمسان .قتل عروج بربروس في **ريو سالادو)** (تعرف اليوم بالمالح مهزوماً من قبل الإسبان عام 1518 أثناء عودته من حملة ضد الزيانيين.

السكان: في منتصف القرن السادس عشر كانت الجزائر العاصمة تتكون من 12.000 سكن من بينها 6.000 يسكنها مسيحيون أوروبيون أو يهود اعتنقوا الإسلام وهو ما يمثل 25.000 مواطن من هذه الفئة من أصل 50.000 هم سكان المدينة آنذاك، إذ لم تكن تسلم شهادة الجنسية إلا للذين اعتنقوا الإسلام. في الفترة ما بين 1610 - 1620 تراوحت تقديرات السكان بين 150.000 - 200.000 نسمة في حين عام 1730 قدر عدد سكانها بـ 100.000 نسمة دون العبيد . قدر عدد سكان إيالة الجزائر 1.500.000 و5.000.000 نسمة.

كان الجزائريين يمثلون أغلبية السكان وهم من العرب والأمازيغ وبعض القبائل الصحراوية وبعد دخول الأتراك العثمانيين ظهر عرقان هما الأتراك والكراغلة وذلك مطلع القرن الرابع عشر مع وجود الأندلسيين وذلك لعوامل منها:

- الفتوحات الإسلامية.
- مجيء العثمانيين وظهور الكراغلة.
- هجرة الأندلسيين إلى الجزائر وتمركزهم في اغلب المدن.
-

التنظيم العسكري:كون الجيش العثماني في إيالة الجزائر من ثلاث فرق هي:
"السباهين "والإنكشاريين، الكراغلة والجيش البحري يشرف عليهم:

مجلس الديوان العسكري (رؤساء الجند)

مجلس الرياس ويضم قادة البحرية ورؤساء المراكب. حيث عرف الأسطول البحري العثماني في ولاية الجزائر تطورا كبير وذلك بفضل الإخوة عروج من مطلع القرن 16 إلى بداية القرن 19 .

الإقتصاد: الزراعة: عرفت ازدهارا كبيرا تميزت بتنوع ووفرة المنتوجات الغذائية كالحبوب والأشجار المثمرة والبقول والخضر بمختلف أنواعها نتيجة وفرة الأراضي الخصبة وخصوصا المروية منها، كما جلب الأندلسيون معهم زراعة البستنة وتربية دودة القز وتقطير الزهور.

التجارة: كان للأسطول البحري الجزائري دورا كبيرا في حماية التجارة الوطنية وكذلك ما يدره من غنائم كثيرة وإتاوات مفروضة على أساطيل الدول الأجنبية من أهم صادراتها القمح والصوف مقابل استيرادها المواد الصناعية والأقمشة.
الجانب الثقافي: عاش المجتمع الجزائري على ما ورثه من الثقافة الإسلامية التي ازدهرت في العصر الوسيط) تيهرت - بجاية– تلمسان(، ولم يساير ثقافة العصر الحديث، كما لعبت

الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في نشر العلم والمعرفة، وارتكز التعليم على الجانب الديني.

المحاضرة رقم 02 : مراحل و خصائص الحكم العثماني في الجزائر

استمر الحكم التركي للجزائر من عام 1518 إلى غاية تاريخ الاحتلال الفرنسي عام 1830 ، حيث مر بأربعة عهود أو فترات مختلفة ، و كل مرحلة تميزت بأسلوب معين في تسيير شؤون البلاد ، لكن قبل الخوض في طبيعة و خصائص كل حكم لا بأس أن نشير إلى نقطتين مهمتين :

- الجزائر كانت بعيدة عن القسطنطينية و بالتالي كانت تسير من طرف بعض العناصر القوية في مدينة الجزائر .
- كانت هناك فئتين أو طبقتين سيطرت على الجزائر طيلة الحكم التركي بها ، ففي المرحلة الأولى منه كانت الطبقة الحاكمة بالجزائر هي فئة " الرياس " ، أما الفئة الثانية التي سيطرت على الجزائر لمدة طويلة فهي فرقة " اليولداش " المتكونة من الجيش البري (

الانكشاريين) و كان اليولداش لا يشعرون بالانتماء الى الجزائر ، و الشيء المهم بالنسبة لهم هو السيطرة على البلاد و قتل كل من يعترض طريقهم ، و الحقائق التاريخية تؤكد أنهم كانوا يخلعون الحاكم الذي لا يرضيهم و يضعون بدله الشخص الذي يروق لهم ، علما أن نفوذهم في الجزائر لم ينته إلا في سنة 1817 عندما قام الداي علي خوجة بحملة ضدهم.

أ- **عهد البايلر بايات (1518 -1587) :** يمثل هذا العصر أزهى عصور الحكم التركي في الجزائر ، حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من النواحي التعليمية و الاقتصادية ز العمرانية ، و ذلك بفضل التعاون بين فئة الرياس في القيادة و أبناء الجزائر ، و قد ساهم في تنمية البلاد و ازدهارها مهاجرو الأندلس الذين وظفوا خبراتهم و مهاراتهم في ترقية المهن و البناء العمراني و تقوية الاقتصاد الجزائري .

و يمكن تلخيص عصر البايلر بايات من خلال أبرز خصائصه و انجازاته كالتالي :

- دام عهد البايلر بايات مدة 70 سنة .
- يأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني .
- كانت السلطة في يد رياس البحر أو جنود البحرية .
- تحرير برج فنار عام 1529 من الاسبان ، و تحرير بجاية من الاحتلال الاسباني عام 1555 ، و إنهاء الوجود الاسباني في تونس عام 1574 م.
- ازدهرت الجزائر في هذه الفترة التي تميزت الحياة السياسية فيها بالاستقرار و تحالف الجميع ضد العدو الاسباني .
- بداية بناء الأسطول الجزائري و تأسست فيها الوحدة الإقليمية للجزائر .

أهم الأحداث التي شهدتها فترة البايلربايات :

أ- **على الصعيد الداخلي :** امتازت هذه مرحلة على المستوى السياسي الداخلي بالقوة و توطيد ركائز الحكم ، و توحيد رقعة البلاد ، حيث استطاع البايلربايات أن يحققوا الوحدة الإقليمية و السياسية للجزائر ، التي امتد نفوذها و سيطرتها إلى كل الجهات شرقا و غربا و جنوبا ، و القضاء على كل الإمارات المحلية : إمارة تلمسان ، الإمارات الحفصية في قلعة بني عباس ، قسنطينة و عنابة ، و إمارة جبل كوكو بالقبائل ، و يعد "صالح رايس" البطل في تحقيق هذه الوحدة ، لاجتهاده في مد نفوذ الأتراك إلى واحات الجنوب و قضى على الدولة الزيانية بتلمسان ، و قام بفرض طاعة سلطة الجزائر على كل المناطق .

و فيما يخص تنظيم البلاد اداريا فقد كان لجهود صالح رايس أثر في ذلك بعد أن امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم المناطق الشرقية و الغربية و الجنوبية للجزائر ، حيث اهتم البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين في ولايته الثانية بتنظيم إدارتها ، إذ قسمها إلى أربعة بايلكات (عمالات) :

- بايلك الجزائر و مركزها مدينة الجزائر (دار السلطان)
- بايلك الشرق و مركزها مدينة قسنطينة.
- بايلك التيطري و مركزها مدينة المدية.
- بايلك الغرب و مركزها مدينة مازونة ثم معسكر ثم وهران.

أما على المستوى الاقتصادي و العمراني ، فقد اهتم البايلربايات بتشييد المساجد وسخروا الأوقاف الطائلة على مشاريع البر و الإحسان ، و شهدت مدينة الجزائر العاصمة خاصة حركة عمرانية كبيرة ،بالإضافة إلى بناء الحصون ، المدارس ، القصور ، حمامات ، مستشفيات ، و قلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة إلى الوقت الحالي.

و من الناحية الاقتصادية امتازت البلاد بغناها الاقتصادي الكبير مصدره الثروات الزراعية و الحيوانية ، و ما يأتيها من أموال الزكاة على الماشية و الحبوب و الزيتون و أنواع المدخولات الأخرى من رسوم وضريبة الصادرات و خمس غنائم البحر التي كان يغنمها الرياس و أموال الجزية التي كانت مفروضة على الدول الأوروبية ، و على المستوى الصناعي فقد عرفت الصناعة تطورا كبيرا مثل : صناعة النسيج ، البرانس ، الزرابي ، و الحياك ، كما كانت تصدر كميات وفيرة من الحبوب و البضائع : الصوف ، الجلود ، الشمع و النسيج إلى الخارج.

ب- **على الصعيد الخارجي :** كان ولاة هذا العهد كلهم أقوياء اثبتوا جدارتهم سواء في الداخل أو الخارج ، و بفضل مركزهم ومكانتهم مدوا سيطرتهم على تونس و طرابلس ، و تحكموا في تسييرها و الوصاية عليها ، فبحكم لقبهم البايلرباي يعينون باشوات تونس و طرابلس ، و ذلك نيابة على الدولة العثمانية و كذا من يخلفهم بالجزائر عندما ينتقل أحدهم .

أما على مستوى العلاقات السياسية الخارجية فقد استطاعت الجزائر بفضل امتلاكها لأسطول قوي ، أن تفرض إرادتها على الدول الأوروبية و إرغامها على دفع إتاوات مقابل ضمان الأمن و السلام لمراكبها في حوض البحر الأبيض المتوسط . حيث استفحل في تلك الفترة نشاط القرصنة في البحر المتوسط .و بالتالي كانت علاقة الجزائر مع أوروبا في هذه الفترة علاقة القوي بالضعيف ، و كانت الجزائر بطبيعة الحال هي القوية .

و من جهة أخرى تنافست الدول الأوروبية على اقامة علاقات دبلوماسية و تجارية مع الجزائر ، لكن هذا التفوق العسكري جعلها مستهدفة من طرف الدول الأوروبية التي عملت دون هوادة من أجل تكسير شوكتها و تقليص دورها و مكانتها الدولية ، و هذا ما تم تجسيده في مؤتمر فيينا و اكس لاشابيل.

و على صعيد آخر اشتدت في هذه الفترة الحملات الاسبانية على الموانئ الجزائرية ، حيث شنت اسبانيا حملة ضخمة على مدينة الجزائر في أوت 1519 ، و حملة شارلكان (Charles Quint) الشهيرة سنة 1541 ، باءت كلها بالفشل .

كما شهدت فترة البايلربايات بداية تسرب النفوذ الفرنسي إلى الجزائر ، نتيجة للعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين فرنسا و الامبراطورية العثمانية ، وبسبب عداء الجزائريين و الأتراك للأسبان ، إضافة إلى تنافس فرنسا التقليدي حول وراثة مشاكل القارة الإفريقية. " و تعود العلاقات الطيبة بين الدولتين إلى أيام السلطان سليمان القانوني و فرانسوا الأول ، حيث حصلت فرنسا على امتيازات واسعة في أملاك الخلافة العثمانية عام 1535. و من أهم هذه الامتيازات نذكر صيد المرجان بالسواحل الشرقية الجزائرية (القالة ، عنابة و القل) ، و قاموا بإنشاء حصن القالة الفرنسي سنة 1561 ، و تدعم ذلك الامتياز بعد توقيع معاهدة السلم و التجارة بين الطرفين في عام 1628 .مع العلم أن هذه الامتيازات تسببت في إحداث أضرار جسيمة للتجارة الجزائرية التي أصبحت موجهة لخدمة الأسواق الأوروبية . كما شارك الأسطول الجزائري الناشئ في الحرب الفرنسية ضد اسبانيا

المحاضرة رقم 03: عهد الباشوات (1587-1659)

قبل البدء في الحديث عن خصائص هذا العهد ، و أهم الأحداث التاريخية التي جرت فيه ، لا بد من الاشارة إلى أسباب تغير النظام السابق : لقد كان ولاة عهد البايلرباي أقوياء ، و

أصحاب نفوذ واسع ، تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس ، و طرابلس بحكم أنهم أصحاب فضل في فتح هذين البلدين ، و الحاقهما بالدولة العثمانية ، التي كافأتهم على ذلك بإعطائهم امتيازات واسعة ، و لما كانت مدة حكم هؤلاء البايلربايات غير محدودة فكثيرا ما تمتد فترة الواحد منهم عدة سنوات في منصبه، ويصبح صاحب مركز قوي ، و نفوذ واسع لدرجة أن الدولة العثمانية بدأت تشتم رائحة التمرد، ومحاولة الانفصال عنها ، و الاستقلال بهذه البلاد ، فتقرر تقصير مدة حكم الوالي إلى ثلاث سنوات فقط ، والتنقيص من امتيازاته السابقة ، و اختصاصاته ، و تغيير لقبه الى الباشا.

و يذكر بعض المؤرخين أن الانكشارية هي التي ظلت تثير تخوفات و شكوك الباب العالي في نية البايلربايات طوال فترة حكمهم ، الأمر الذي جعل من رجال الدولة العثمانية يرون أن السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر ، تونس ، طرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية ، و بالتالي لابد من تقسيم الحكم و فصل الولايات عن بعضها البعض ، و إسناد كل إدارة إلى باشا يحكم لمدة ثلاث سنوات ، و ذلك لإحكام السيطرة على البلاد ومنع حدوث أي تمرد ضدها.

و بهذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الامبراطورية ، مانعة أن تكون إدارة شمال افريقيا كله بيد شخص واحد و لمدة طويلة .

- و على صعيد آخر فإن هذا التغيير (تغيير النظام السابق البايلربايات إلى الباشوات) يعود إلى الصراع القائم بين طبقة الرياس و جنود الانكشارية ، و ذلك منذ نشأة الدولة الجزائرية التي قامت و تأسست على أكتاف رجال طائفة الرياس مثل خير الدين و من خلفه . و عليه أراد السلطان العثماني أن يخفف حدة النزاع بين الفئتين و خاصة أن فئة اليولداش (الانكشارية) كانت مستاءة من تمتع فئة جنود البحرية بلقب البايلربايات أو أمير الأمراء ، و لذلك قرر السلطان العثماني "مراد الثاني" ، إلغاء هذه الرتبة و تعويضها برتبة أخرى هي رتبة الباشا.

و قد تميزت هذه المرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر بمايلي :

- تعيين باشا تركي في كل من الجزائر و تونس و طرابلس ، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر.
- يقوم السلطان العثماني بتعيين باشا كل 3 سنوات يقوم بإرساله من تركيا و يستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه ، على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك.

و بالتالي أصبح كل باشا يشعر أنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة ، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه. و مادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم .

- إن انصراف الباشوات إلى السلب و النهب و جمع الثورة قبل عودته إلى القسطنطينية ، دفع باليولداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا عليهم و يضعفوا نظام الحكم في الجزائر.
- بدأت تظهر الخلافات و التناقضات بين جنود البحرية الجزائرية و جنود البحرية العثمانية ، وخاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الامبراطورية العثمانية .

- كما ظهر التصادم و التنافر بين جنود البحرية و جنود القوات البرية ، و خاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية ، وهذا الصراع هو الذي تسبب في اضعاف الدولة الجزائرية .

إن هذا الصراع راح ضحيته الأهالي نتيجة ظلم الانكشارية و انصراف طبقة الرياس إلى مصالحها الخاصة و التخلي – تقريبا – عن دورها في الاهتمام بالرعية و مصالحها .

- برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر و تسعى لإقامة علاقات تعاون معها.

و من بين أبرز الأحداث التي شهدها عهد الباشوات على الصعيد الداخلي و الخارجي نذكر :

أ- على الصعيد الخارجي :

- عمل باشوات الجزائر على وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين بسبب تأييد فرنسا لاسبانيا في عدوانها على الجزائر ، حيث قام الباشا خضر بتحطيم المركز الفرنسي بالقالة و أسر رواده ، و بالمقابل أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية و كان رد الجزائر بالمثل ، حيث أسر القنصل الفرنسي بالجزائر ، و على إثر ذلك تعقدت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر من جهة و مع الخلافة العثمانية من جهة أخرى ، فاضطرت فرنسا إلى التفاوض و إبرام معاهدة بتاريخ 1628/09/19 م نصت على مايلي :

- إطلاق صراح الأسرى من الجانبين.
- التوقف عن الأسر من الجانبين.
- مسالمة البواخر الفرنسية في البحر.
- تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بحصانة دبلوماسية .
- إعادة بناء المركز الفرنسي التجاري بالقالة.

الجدير بالذكر أن فرنسا لم تحافظ على نصوص المعاهدة و قامت بالاعتداء المتكرر على السفن الجزائرية و شواطئها و قتلت الكثير من الجزائريين ، و كان رد الجزائر بالمثل بتتبع مراكب فرنسا و أسر ما فيها.

- سوء العلاقة السياسية بين الجزائر و تونس بسبب تدخل البايات التونسيين في بشؤون شرق الجزائر ، حيث كانوا يشجعون على قيام الاضطرابات ، و تمت المصالحة بين البلدين بإبرام معاهدة صلح عام 1628م.
- شنت أوروبا حملة على مدينة الجزائر في أوت 1601 بقيادة الاسباني " جان دوريا " (Doria) و مباركة البابا متكونة من سبعين سفينة حربية و عشرة آلاف جندي من فرنسيين و ايطاليين و اسبانيين متبعة في ذلك خطة الكابتان الفرنسي " روكس " ، لكنها باءت بالفشل.
- كثرة الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية ، و خاصة في عهد الباشا الأول " أحمد باشا " (دالي أحمد) الذي قاد بنفسه حملات عام 1588 هاجم شواطئ نابولي و صقلية و كورسيكا و اسبانيا .

ب- على الصعيد الداخلي :

- عرفت الجزائر العديد من التمردات و الثورات امتد لهيبها إلى الأعماق الصحراوية و إلى منطقة القبائل الكبرى نتيجة ارهاقهم بالضرائب ، كثورات القبائل (1643) التي اندلعت بسبب زيادة الضرائب على المناطق القبلية ، و ذلك ليتمكن الباشوات من جمع المزيد من المال و بسرعة ، و في اعتقادهم أن القبائل لا تثور ، بالإضافة إلى الثورة العارمة التي

تزعمها رياس البحر من جهة و الجنود الانكشاريون من جهة ثانية ، حيث ثارت الفئة الأولى بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسائرهم في منطقة البحر الأدرياتيكي ، و قيامه بدفعها كرشاوي لرجالات الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه ، و من أجل ذلك هاجم رياس البحر قصره و اعتقلوه و أودعوه السجن ، ثم بعد ذلك تم ترحيله إلى " إزمير " . أما فئة الانكشارية فقد ثارت على نظام الباشاوات بسبب تطلعها المستمر إلى السيطرة و الحكم بشتى الوسائل.
و بالتدرج انتقلت إدارة الولاية الى الانكشاريين و كسب ديوانهم قوة و نفوذا ، وصار الباشوات موظفين فقط برئاسة الاحتفالات الرسمية و بعقد المعاهدات،وانتهى الأمر بسيطرة فرقة الانكشارية على السلطة سنة 1659 ، و اختفاء نظام الباشوات ، و ظهور نظام جديد عرف بعهد الآغوات.
و قد تقرر إعطاء السلطة التنفيذية للأغا رئيس الفرقة العسكرية ، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان و بالتالي أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم .

المحاضرة رقم 04: عهد الآغاوات (1659م-1671)

عهد الباشوات (1587-1659) : قبل البدء في الحديث عن خصائص هذا العهد ، و أهم الأحداث التاريخية التي جرت فيه ، لا بد من الاشارة إلى أسباب تغير النظام السابق :

- لقد كان ولاة عهد البايلرباي أقوياء ، و أصحاب نفوذ واسع ، تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس ، و طرابلس بحكم أنهم أصحاب فضل في فتح هذين البلدين ، و الحاقهما بالدولة العثمانية ، التي كافأتهم على ذلك بإعطائهم امتيازات واسعة ، و لما كانت مدة حكم هؤلاء البايلربايات غير محدودة فكثيرا ما تمتد فترة الواحد منهم عدة سنوات في منصبه ، و يصبح صاحب مركز قوي ، و نفوذ واسع لدرجة أن الدولة العثمانية بدأت تشتم رائحة التمرد ، و محاولة الانفصال عنها ، و الاستقلال بهذه البلاد ، فتقرر تقصير مدة حكم الوالي إلى ثلاث سنوات فقط ، و التنقيص من امتيازاته السابقة ، و اختصاصاته ، و تغيير لقبه الى الباشا.

و يذكر بعض المؤرخين أن الانكشارية هي التي ظلت تثير تخوفات و شكوك الباب العالي في نية البايلربايات طوال فترة حكمهم ، الأمر الذي جعل من رجال الدولة العثمانية يرون أن السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر ، تونس ، طرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية ، و بالتالي لابد من تقسيم الحكم و فصل الولايات عن بعضها البعض ، و إسناد كل إدارة إلى باشا يحكم لمدة ثلاث سنوات ، و ذلك لإحكام السيطرة على البلاد ومنع حدوث أي تمرد ضدها.
و بهذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الامبراطورية ، مانعة أن تكون إدارة شمال افريقيا كله بيد شخص واحد و لمدة طويلة .

- و على صعيد آخر فإن هذا التغيير (تغيير النظام السابق البايلربايات إلى الباشوات) يعود إلى الصراع القائم بين طبقة الرياس و جنود الانكشارية ، و ذلك منذ نشأة الدولة الجزائرية التي قامت و تأسست على أكتاف رجال طائفة الرياس مثل خير الدين و من خلفه . و عليه أراد السلطان العثماني أن يخفف حدة النزاع بين الفئتين و خاصة أن فئة

اليولداش (الانكشارية) كانت مستاءة من تمتع فئة جنود البحرية بلقب البايلربايات أو أمير الأمراء ، و لذلك قرر السلطان العثماني "مراد الثاني" ، إلغاء هذه الرتبة و تعويضها برتبة أخرى هي رتبة الباشا.

و قد تميزت هذه المرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر بمايلي :

- تعيين باشا تركي في كل من الجزائر و تونس و طرابلس ، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر.
- يقوم السلطان العثماني بتعيين باشا كل 3 سنوات يقوم بإرساله من تركيا و يستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه ، على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك.

و بالتالي أصبح كل باشا يشعر أنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة ، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه. و مادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم .

- إن انصراف الباشوات إلى السلب و النهب و جمع الثورة قبل عودته إلى القسطنطينية ، دفع باليولداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا عليهم و يضعفوا نظام الحكم في الجزائر.
- بدأت تظهر الخلافات و التناقضات بين جنود البحرية الجزائرية و جنود البحرية العثمانية ، و خاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الامبراطورية العثمانية .
- كما ظهر التصادم و التنافر بين جنود البحرية و جنود القوات البرية ، و خاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية ، و هذا الصراع هو الذي تسبب في اضعاف الدولة الجزائرية .

إن هذا الصراع راح ضحيته الأهالي نتيجة ظلم الانكشارية و انصراف طبقة الرياس إلى مصالحها الخاصة و التخلي – تقريبا – عن دورها في الاهتمام بالرعية و مصالحها .

- برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر و تسعى لإقامة علاقات تعاون معها.

و من بين أبرز الأحداث التي شهدها عهد الباشوات على الصعيد الداخلي و الخارجي نذكر :

أ- **على الصعيد الخارجي :**

- عمل باشوات الجزائر على وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين بسبب تأييد فرنسا لاسبانيا في عدوانها على الجزائر ، حيث قام الباشا خضر بتحطيم المركز الفرنسي بالقالة و أسر رواده ، و بالمقابل أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية و كان رد الجزائر بالمثل ، حيث أسر القنصل الفرنسي بالجزائر ، و على إثر ذلك تعقدت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر من جهة و مع الخلافة العثمانية من جهة أخرى ، فاضطرت فرنسا إلى التفاوض و إبرام معاهدة بتاريخ 1628/09/19 م نصت على مايلي :

- إطلاق صراح الأسرى من الجانبين.
- التوقف عن الأسر من الجانبين.
- مسالمة البواخر الفرنسية في البحر.
- تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بحصانة دبلوماسية .
- إعادة بناء المركز الفرنسي التجاري بالقالة.

الجدير بالذكر أن فرنسا لم تحافظ على نصوص المعاهدة و قامت بالاعتداء المتكرر على السفن الجزائرية و شواطئها و قتلت الكثير من الجزائريين ، و كان رد الجزائر بالمثل بتتبع مراكب فرنسا و أسر ما فيها.

- سوء العلاقة السياسية بين الجزائر و تونس بسبب تدخل البايات التونسيين في بشؤون شرق الجزائر ، حيث كانوا يشجعون على قيام الاضطرابات ، و تمت المصالحة بين البلدين بإبرام معاهدة صلح عام 1628م.
- شنت أوروبا حملة على مدينة الجزائر في أوت 1601 بقيادة الاسباني " جان دوريا " (Doria) و مباركة البابا متكونة من سبعين سفينة حربية و عشرة آلاف جندي من فرنسيين و ايطاليين و اسبانيين متبعة في ذلك خطة الكابتان الفرنسي " روكس " ، لكنها باءت بالفشل.
- كثرة الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية ، و خاصة في عهد الباشا الأول " أحمد باشا " (دالي أحمد) الذي قاد بنفسه حملات عام 1588 هاجم شواطئ نابولي و صقلية و كورسيكا و اسبانيا .

ب- على الصعيد الداخلي :

- عرفت الجزائر العديد من التمردات و الثورات امتد لهيبها إلى الأعماق الصحراوية و إلى منطقة القبائل الكبرى نتيجة ارهاقهم بالضرائب ، كثورات القبائل (1643) التي اندلعت بسبب زيادة الضرائب على المناطق القبلية ، و ذلك ليتمكن الباشوات من جمع المزيد من المال و بسرعة ، و في اعتقادهم أن القبائل لا تثور ، بالإضافة إلى الثورة العارمة التي تزعمها رياس البحر من جهة و الجنود الانكشاريون من جهة ثانية ، حيث ثارت الفئة الأولى بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسائرهم في منطقة البحر الأدرياتيكي ، و قيامه بدفعها كرشاوي لرجالات الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه ، و من أجل ذلك هاجم رياس البحر قصره و اعتقلوه و أودعوه السجن ، ثم بعد ذلك تم ترحيله إلى " إزمير " . أما فئة الانكشارية فقد ثارت على نظام الباشاوات بسبب تطلعها المستمر إلى السيطرة و الحكم بشتى الوسائل.

و بالتدرج انتقلت إدارة الولاية الى الانكشاريين و كسب ديوانهم قوة و نفوذا ، و صار الباشوات موظفين فقط برئاسة الاحتفالات الرسمية و بعقد المعاهدات ، و
انتهى الأمر بسيطرة فرقة الانكشارية على السلطة سنة 1659 ، و اختفاء نظام الباشوات ، و ظهور نظام جديد عرف بعهد الآغوات.

و قد تقرر إعطاء السلطة التنفيذية للأغا رئيس الفرقة العسكرية ، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان و بالتالي أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم .

المحاضرةرقم05:عهدالآغاوات(1659-1671)

تعتبر هذه الفترة من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر، حيث عرفت فيهاالبلاد اضطرابات سياسية كبيرة في نظام الحكم ، من انقلابات، واغتيالات، وفساد، وتعرض الحكم التركي فيها لهزات عنيفة عجز فيها عن توفير الأمن و الاستقرار الداخلي.

و يصف معظم المؤرخين عصر الآغاوات بالدموي و ذلك لكثرة عمليات الاغتيال التي يرجعون سببها أساسا إلى طبيعة تعيين الآغا ، و المتمثلة في انتخاب آغا جديد من طرف الجند كل شهرين حسب الأقدمية من بين ضباط الانكشارية ، و هو ما يشكل بحد ذاته خطرا

على السلطة ، انعكس بدوره سلبا على المجتمع . و برغم قصر فترة نظام الأغوات فقد تعاقب أربعة منهم على الحكم كلهم قضوا اغتيالا ، حتى أن الجند لم يجدوا من يقبل بهذا المنصب الذي أصبح أقبل السبل للموت.

و من أهم خصائص هذا العهد نذكر :

- السلطة التنفيذية بيد أحد أعضاء الجيش الانكشاري ، أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان .
- أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم ، و بالمقابل سيطرة الانكشارية على السلطة .
- قرر ديوان الانكشارية أن يتولى الآغا الحكم عن طريق الانتخاب ، على أن يبقوا في الحكم لمدة شهرين اثنين فقط ، و بالتالي أصبح الديوان هو الذي يقوم بانتخاب " الآغا " المنتدب للحكم ، بعدما كان الحاكم يعين من قبل السلطان العثماني خلال مرحلتي " البيلربايات ، و الباشاوات. "
- اضمحلال نفوذ السلطان العثماني و غياب السيادة العثمانية في الجزائر ، و نتج عن ذلك استياء تركيا من انفصال حكام الجزائر عنها و قطع كل المساعدات عنهم.

و في هذا الصدد أرسل الصدر الأعظم " كوبرلو محمد بن باشا " فرمانا إلى الجزائريين يخبرهم فيه " أخيرا لن نرسل إليكم واليا ، بايعوا من تريدون ...لدينا الآلاف من الممالك مثل الجزائر ..."

- و ضع الاغتيال كقاعدة أساسية لكي يحل آغا جديد محل آغا قديم رفض التخلي عن السلطة ، وانتهت مدته ، الأمر الذي جعل كل الآغاوات يقتلون عندما حاولوا عدم التخلي عن مناصبهم .
- استفحال الصراعات المحلية سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري ، و تذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي و انتشار الفوضى في البلاد .
- نجح " اليولداش " في قلب نظام الحكم و الانفصال عن العثمانيين و الحد من سلطة " الرياس" لكنهم فشلوا في انشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح.
- كان الانقلاب على الباشوات عبارة عن انتقام من طائفة أو فئة الرياس التي كانت كلمتها مسموعة غي عهد الباشاوات .

أما فيما يخص أهم الأحداث التي شهدتها فترة حكم الآغاوات فنلخصها فيمايلي :

أ- **على الصعيد الخارجي** :

- برز الصراع بين فرنسا و انجلترا حول السيطرة على افريقيا الشمالية.
- كثرت الغارات البحرية الفرنسية ضد الجزائر ، ففي عام 1663 شنت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الدوق دوبوفور (Duc Beaufourt) للاستيلاء على مدينة الجزائر ، و لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فنظمت حملة أخرى انطلقت من ميناء تولون (Toulon) يوم 23 جويلية 1664 تحتوي على 83 سفينة و 8000 عسكري بقيادة كولبير(Colbert) و الدوق دوبوفور و نزلت بجيجل ، لكن سكانها و الأتراك أجبروهم على الرحيل بعد معركة دموية خسرت فيها فرنسا العديد من بواخرها و جنودها . فكرر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام 1665 هجوما آخر فاشلا على كل من مدن شرشال و القل و جيجل ، و لم يعد السلم بين الدولتين إلا بإبرام اتفاقية جديدة مع فرنسا. في 7 ماي 1666 التي نصت على

اطلاق الأسرى من الجانبين و مسالمة سفن الجانبين في البحار ، و بعد إبراهم المعاهدة حصل هدوء نسبي بين البلدين لتدخل قوات أخرى في الصراع .

- قامت انجلترا عام 1669 بشن هجوم على الجزائر و الاعتداء على مراكبها في عرض البحر لكن المدفعية الجزائرية أجبرتها على العودة ، و في سنة 1671 هاجم الانجليز ميناء بجاية و أضرموا النار في اثني عشر مركب جزائري ، كما هاجموا ميناء الجزائر و اضرموا النار في ثلاثة مراكب .
- دخل حلبة الصراع ضد الجزائر إلى جانب الفرنسيين و الانجليز كل من الاسبان و الهولنديين ، و كاد الأمر يتحول الى تحالف أوروبي ضد الجزائر ، إلا أنها تفطنت وفوتت الفرصة فصالحت الهولنديين عام 1663 لمحاربة الفرنسيين ، و صالحت الفرنسيين لتحارب الانجليز و الهولنديين ، و في عام 1671 صالحت الانجليز لتعود الى الحرب مع فرنسا و هكذا.

ب- على الصعيد الداخلي :

- الانفصال عن الخلافة العثمانية و الاستقلال بالجزائر من الناحية الشكلية .
- امتنع الرياس عن تقديم الدعم الاقتصادي للانكشاريين " الطبقة الحاكمة" و كانوا يسعون إلى إثارة الاضطرابات ضد الأغوات محاولة منهم لاستعادة السلطة التي سلبت منها.
- عدم رضا الأهالي عن الطبقة الانكشارية .
- فشل الآغوات في فرض نفوذهم على السلطة، كماشبت

عدة ثورات ضدهم في جهات كثيرة مثل :العاصمة ، وبلاد القبائل عام 1668 م، نالت من هيبتهم ، و
جعلتهم عاجزين على القبض بزمام الأمور. الأمر الذي شجع طائفة رياس البحر لاستعادة مك انتهم .
و بعد اغتيال علي أغا عام 1671. ألغي هذا النظام بقرار من ديوان الأوجاق و الذي عوض بنظام الدايات ، حيث يظل الداي في الحكم طوال حياته دون أن يكون له الحق في تعيين من يخلفه.

المحاضرة رقم 06 : عهد الدايات (1671-1830)

يمثل هذا العهد المرحلة الأخيرة من مراحل التواجد العثماني بالجزائر ، و يعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة الرياس ، كما يدل ذلك على اختيار الدايات الأربع الأولين من بين طائفة الرياس ، و من فترة 1671 إلى 1689 كان الدايات ينتخبون من طرف الرياس ، ثم استرجع الأوجاق نفوذهم ، فأصبح الداي يختار من بين ضباط الانكشارية ، و ذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية خلال عهد الدايات و التي ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري و أضعفت مركز الرياس .
و تتميز فترة الدايات بالخصائص التالية :

- كان لفئة الرياس دورا بارزا في تأسيس حكم الدايات الذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان ، وأصبحت سلطته شكلية ، و بدخول الجزائر عهد الدايات عرفت استقرارا سياسيا .
- تعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر، حيث دامت مدة 159 سنة و هي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر ، و

يمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية في تسيير شؤونها الداخلية و الخارجية .
حيث احتفظت تركيا لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة و الاعتراف بمراسيم التعيين و التعاون في مجال الحروب ، بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا للاعتداء خارجي (كما حصل في معركة نافارين سنة 1827) . و كذا في تقديم دايات الجزائر لهدايا أثناء المناسبات الدينية و السياسية ، و بالتالي القاسم المشترك بين الدولتين دفع بالجزائر إلى الاعلان عن ولائها الروحي و التبعية الاسمية للدولة العثمانية و تحالفها معها كدولة .

- محاولات الدولة العثمانية المتكررة التدخل في شؤوون الدولة الجزائرية من أجل استرجاع سلطّتها ونفوذها السابق أيام حكم البايلربايات ، و الباشوات ، و تأثير ذلك على مركز الدايات ، فحفّزت القوى المعادية لهم على التمرد و العصيان.
- أصبح الداي ينتخب من طرف الديوان العالي (المجلس) الذي صار بمثابة برلمان في عصرنا الحالي ، و السلطان العثماني لا يلعب أي دور في اختيار داي الجزائري و ينحصر دوره في إصدار مرسوم (أو فرمان) لتثبيت اختيار الديوان العالي بالجزائر ، و في حالة شغور المنصب فإن الديوان العالي هو الذي يختار خليفته بنفس الأسلوب السالف الذكر.
- بحلول عام 1710 دخلت الجزائر مرحلة هامة في نظامها السياسي ، فأنهت عهد ثنائية الحكم ، برفضهم الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني ، حيث رفض الداي علي شاوش
استقبال" شرقان ابراهيم باشا" ، كممثل للسلطان العثماني بالجزائر ،و بالتالي أصبح الداي يجمع بين المنصبين (الباشا و الداي) ، و هي مرحلة الاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية .
و أكثر من هذا قاوم الدايات حتى وساطة الباب العالي في المشاكل الداخلية و الخارجية للجزائر ، و لم يعد بذلك السلطان العثماني أي نفوذ فيها.
- يعين الداي في منصبه مدى الحياة ، حيث كان هو المسؤول العسكري و السياسي للبلاد ، والقاضي الأعلى في أمور الحرب و السلم و المسؤول على الضرائب و على التوظيف ، أي له صلاحيات غير محدودة فقد كان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته
- أصبحت الدولة الجزائرية في عهد الدايات تتمتع بحرية العمل في المجال السياسي و بنت جيشا قويا و عندها ميزانية مستقلة لا تقل أهمية عن ميزانية الدول القوية في تلك الفترة ، كما كان الداي يعقد المعاهدات (سلم و تجارة) باسم الجزائر و يبعث بقناصل الجزائر إلى الدول الكبرى و يوافق على اعتماد القناصل في الجزائر بدون مشاورة تركيا ، و يعلن الحرب ، و يستعمل العملة الخاصة بالجزائر ، و هذه العوامل كلها تبين استقلالية القرار الجزائري.
- إن نفوذ الجيش البحري (الرياس) و الدايات لم يخدم الأهالي و لم يستجب لمطالبهم ، حيث بقي أبناء الجزائر مهمشين و لم تكن لهم مشاركة حقيقية في قيادة البلاد .
- توجه القوات العسكرية و السياسية لخدمة مصالحهم ، حيث تحول الرياس من جنود مناضلين و مقاتلين ضد القوات المسيحية المعادية للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام ، و بالمثل اهتم حكام الجزائر الدايات بجمع الثروة من العمليات الحربية ، و لم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية و توفير الغذاء للسكان.

أما فيما يخص أهم الأحداث التي عرفتها فترة الدايات فنوجزها في النقاط التالية :

- تمكن حكام الجزائر في هذه المرحلة الأخيرة من القضاء نهائيا على الوجود الاسباني في الجزائر و بالتحديد في وهران و المرسى الكبير ، و كان ذلك في سنة 1792. . يذكر أن تحرير مدينة وهران من الاسبان تم على مرحلتين : حيث كان التحرير الأول عنوة عام 1708 على يد مصطفى أبو الشلاغم باي الايالة الوهرانية و صهره أوزن حسن ، و في عهد الداي محمد بقطاش باشا ، و ذلك بعد أن مكث فيها الاسبان مائتين و خمسة أعوام و على إثر هذا الانتصار نقلت عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران ، و يسمى هذا الحدث بفتح وهران الأول ، لكن الإسبان عادوا سنة 1732 و احتلوها مرة ثانية ، إلى أن جاء عهد حسن باشا الذي شهد على يديه التحرير النهائي لمدينة وهران سنة 1792 .
- من الأحداث المميزة لهذا العهد كثرة الغارّات الأوربية على سواحل البلاد برغبة الانتقام من قوة الجزائر البحرية خاصة من طرف : الإسبان ، الإنجليز ، و الفرنسيين ، حيث نظم الأميرال الفرنسي " دوكين " في عهد الداي بابا حسن و بالضبط يوم 12 جويلية 1682 حملة عسكرية قوامها ثلاثون سفينة حربية لمهاجمة شرشال و مدينة الجزائر ، لكن هذه المحاولة باءت كغيرها من الفشل . و في عام 1684 أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة سنة ، لكنها نقضت عام 1776 بسبب نشوب معركة بين السفن الفرنسية و الجزائرية ، و مرة أخرى تم الصلح بين الطرفين .
- و في عهد محمد عثمان باشا خاضت الجزائر حربا ضد الدنمارك و بالتحديد عام 1770 ، حيث قنبلت الميناء الجزائري ، لكن الجيش البحري الجزائري كان أقوى منها بكثير فتغلب عليها و أجبرها على التفاوض .
- و في عام 1770 شنت القوات الاسبانية حملة عسكرية ضد الجزائر بأمر من الملك شارل الثالث و بقيادة (Don Pédro) ، و لم تكد تنزل القوات الاسبانية على أرض الجزائر حتى تصدت لها قوات صالح باي قسنطينة و ألحقت بهم شر الهزيمة . من بعدها حاول الملك شارل الثالث مصالحة الجزائريين لكن الداي محمد عثمان باشا رفض لعدم ثقته في الاسبان ، فكرر الاسبان هجماتهم عام 1784 على الجزائر بقيادة (Don Antonio) لكن كالعادة القوات البحرية الجزائرية أجبرتهم على الانسحاب. و بعد ذلك قبلت الجزائر الصلح مع الاسبان على شرط جلاء الحامية الاسبانية من وهران و المرسى الكبير ، فقبل الاسبان هذا الشرط ، لكن لم ينفذ فعليا إلا في عهد الداي حسن باشا أي في سنة 1792 – كما أشرنا سابقا-

المحاضرة رقم 07: نهاية الإيالة و الإحتلال الفرنسي :

أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

أ- النوايا الفرنسية لاحتلال الجزائر منذ القرن الثالث عشر

ب- خلفيات الاحتلال (الدينية و السياسية ، الاقتصادية و العسكرية) مع الاشارة إلى قضية تواطؤ اليهود مع فرنسا في تسريع احتلال الجزائر .

ت- أسباب الاستعمار الفرنسي للجزائر المباشرة .

أ- النوايا الفرنسية لاحتلال الجزائر:

ظاهريا تعتبر حادثة المروحة بين الداي حسين و القنصل الفرنسي بالجزائر دوفال يوم 29 أفريل 1827 السبب المباشر الذي أدى بفرنسا لاحتلال الجزائر بهدف تأديب الداي ، لكن إذا

تعمقنا في الأحداث التاريخية التي سبقت الاحتلال لوجدنا أن فرنسا كانت تخطط لاحتلال الجزائر و الاستيلاء عليها منذ قرون عديدة .

و هي الحقيقة التي صرح بها بعض المؤرخين الفرنسيين ، أمثال " اجرون " الذي قال " إن الفكرة التي أثيرت دوما طيلة القرون العديد و الرامية الى غزو الجزائر قد تجددت سنة 1827 " و يؤكد على قوله المؤرخ الفرنسي " اوغستين برنار " في كتابه (الجزائر) " إن احتلال الجزائر هو ثمرة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير ."

و الحقائق التاريخية تثبت أن النوايا العدوانية الفرنسية ضد الجزائر كانت منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي ، عندما كان يفكر ملك فرنسا لويس التاسع في غزو و احتلال بلدان المغرب ، فقام بحملة صليبية على تونس سنة 1270 ، بعد حملة سابقة كان قد شنها في المنصورة بمصر سنة 1249 ، و تقول كثير من المراجع أنه كان يقصد الجزائر بالذات ، غير أن شارل التاسع مات دون تحقيق حلمه سنة 1270.

و من جهته أضمر ملك فرنسا شارل التاسع نية غزو الجزائر و تعيين أخيه دوق دانجو (le duc d'Anjou) ملكا على الجزائر ، و ذلك بعد المعركة البحرية التي هزم فيها الأسطول العثماني يوم 9 أكتوبر 1571 ، و ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري ، و بالتالي بدا لشارل التاسع أن الفرصة مواتية ، نظرا لضعف الاسطول الجزائري (و لو كان ضعفا مؤقتا) ، فراوده الأمل شهر ماي 1572 في أن يتوج أخاه ملكا على الجزائر .

و يذكر بعض المؤرخين أن شارل التاسع
اقترح للسلطان العثماني سليم الثاني بتعيين أخيه ملكا على الجزائر مقابل دفع جزية سنوية لل سلطان ، فكان جواب السلطان السخرية منه و من اقتراحه الساذج.

و في عهد لويس الخامس عشر راودت فرنسا فكرة احتلالها للجزائر مرة أخرى ، حيث تمت دراسة كيفية تنفيذ خطة وضعها لوفور (Lefort) سنة 1763 ، تحت عنوان " مذكرة لتخريب الجزائر " . و كذلك في عهد لويس السادس عشر تمت دراسة خطة لغزو الجزائر ، أعدها القنصل الفرنسي العام بالجزائر " دو كيرسي " (De Kercy) سنة 1782 ، و في عام 1785 تم مرة أخرى إعداد خطة لغزو الجزائر .

و في عام 1792 (السنة التي تم فيها الاعلان عن قيام الجمهورية الفرنسية الأولى) كانت فرنسا تخطط لاحتلال الجزائر و الاستيلاء عليها ، و هي ذات السنة التي تم فيها تحرير وهران و المرسى الكبير نهائيا من الوجود الاسباني ، و بالتالي كانت هناك رغبة قوية للتجار الفرنسيين و القيادة السياسية بتلك البلاد أن تحل فرنسا محل اسبانيا في شمال افريقيا و تسيطر على هذه المنطقة الغنية بالثورات الطبيعية ، و بصفتها موقعا استراتيجيا هاما من الناحية العسكرية ، حيث كان الجيش الفرنسي يسعى باستمرار لتقوية أسطوله و إنهاء السيطرة الانجليزية على حوض البحر الأبيض المتوسط .

و في عهد نابيلون بونبارت تجددت نوايا فرنسا في احتلال الجزائر ، حيث كان نابليون يحلم بجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية ، لذلك كان يخطط لحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي الأربع و إقامة مستعمرات عسكرية فرنسية هناك ، و إضافة المنطقة إلى أجزاء امبراطوريته في البحر المتوسط ، و لتحقيق ذلك طلب من الفرنسيين الذين كانوا أسرى في الجزائر أو الذين عاشوا فيها ، معلومات عنها و عن سكانها و تحصيناتها .

و في سنة 1802 تمت دراسة الخطة التي وضعها القنصل الفرنسي العام " سانت أندري " (Jean Bon Saint-André) . و بناء على ذلك أوصى هذا القنصل بضرب الجزائر

ضربة قوية و سريعة و إنهاء الحرب في ثمانية أيام . و اقترح فرنسي آخر بنزول حملة فرنسية قرب تنس و الهجوم على مدينة الجزائر برا .

و في يوم 18 أفريل 1808 عاد نابليون إلى مشروع الحملة ضد الجزائر ، حيث كتب رسالة سرية إلى وزيره للبحرية " ديكريس" (Decrès) يقول له فيها " فكروا في إعداد غزوة إلى الجزائر ، و ذلك على كلا المستويين : البحري و البري . "

كما أمره بجمع المعلومات الضرورية عن وسائل التمويل و طبيعة الأرض ، و مكان و زمان الحملة ، و اقترح التمويه على العدو لكي يظن أن الحملة موجهة إلى صقلية . و طلب أن لا يزيد الجيش عن 20 ألف رجل ، و أمر أن تأتيه المعلومات في ظرف شهر .

و في سياق آخر طلب نابليون من ذات الوزير إرسال أحد جنوده سرا إلى الجزائر ليتجسس و يعود بتقرير مفصل و خطة واضحة ، فوقع الاختيار على الضابط " بوتان " (Y .Boutin) الذي تلقى تعليمات صارمة مفادها " إياك أن تحكي قصصا عند العودة ، و تطلق العنان لخيالك ، بل عليك أن تسجل أدنى جزئية في حينها ، و أن تقدم تقريرا كتابيا ." و في ذات السياق قال بونبارت لبوتان " أريد تفاصيل دقيقة بحيث لا تشتمل على : لكن ، إذا ، لأن "

و فعلا ، فقد أقام بوتان في الجزائر من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808 ، و هو متقنع بحيث لا يتعرف عليه ، و ظل هناك متجسسا على الحصون دارسا خطة النزول بدقة متنقلا من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج غربا . و لقد وفر له القنصل العام في الجزائر كل التسهيلات و المساعدات ، و لم يكتف عند العودة بالتقرير الكتابي ، بل دعمه بخرائط .

و قد ضمن تقريره معلومات دقيقة عن تحصينات الجزائر و طبيعة أرضها ، و عدد قواتها ، و زمن الحملة المقترحة و المدة التي تستغرقها و عدد الجيش الضروري ، كما أظهر الأخطار التي تتعرض لها الحملة من البحر و نصح بدلا من ذلك أن تكون الحملة برية ، و بالاستيلاء على قلعة مولاي حسن لأنها تشرف على المدينة ، و اقترح أن يكون مكان نزول الحملة هو سيدي فرج لخلوه من المدافع و الجنود. الجدير بالذكر أن تقرير بوتان عام 1808 كان الأساس لحملة غزو الجزائر سنة 1830.

و لكن نابليون تخلى عن مشروع الحملة لانشغاله بالحرب في اسبانيا و بحملة روسيا و ضعف الاسطول الفرنسي ثم سقوطه. بالإضافة إلى الاضطرابات الطارئة في أوروبا و في فرنسا نفسها ، كلها ظروف حالت دون تحقيق مشروعه .

يذكر أن نابليون أراد أن يجعل من قرار غزوه للجزائر دوليا يشرك فيه كل من انجلترا و روسيا و النمسا ، غير أن انجلترا رفضت و القيصر الروسي الكسندر الاول وافق لكن لم تكن له نية ارسال جنوده إلى الجزائر .

و آخر النوايا العدوانية لفرنسا في غزو الجزائر كانت في عهد شارل العاشر الذي حقق حلم من سبقوه في حكم فرنسا و نفذ الخطة التي وضعها بوتان في عهد نابليون بونبارت .

حيث كانت له نية مبيتة و خطة مدبرة بتنفيذ محكم قام على ثلاثة عناصر متوازية و هي : عزم مستمر و اعداد متواصل و استفزاز الداي حسين ، و عليه أحكمت فرنسا خطة غزوها للجزائر بعد أن تأكدت من التفاوت الحضاري و التقني بين البلدين ، و رجح لديها احتمال انتصارها ، فأخذت تبحث عن سبب إعلان حرب ، فأمرت قنصلها العام في الجزائر " دوفال " (Duval) بأن يستفز الداي بطريقة ما حتى يقوم بتصرف تتخذه هي ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر .

و كانت هذه المهمة سهلة بالنسبة الى دوفال ، الذي لم تجب حكومته على رسائل الداي حسين التي يطالبها فيها بتسديد الديون التي عليها للجزائر ، فأمرته بأن يجيب الداي شفويا بأن طلبه تستحيل الاستجابة له. و يذكر بعض المؤرخين أن رد القنصل كان وقحا ، إذ وضع يده على مقبض سيفه متحديا ، قائلا للداي " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم ." و تمادى القنصل في استفزازه و سوء أدبه ...

و هو ما حدث بالفعل في 30 أفريل 1827 ، حيث جاء دوفال لتهنئة داي الجزائر بعيد الفطر ، و كان سؤال الداي ، و كان الجواب المذكور ، و كانت الضربة بالمروحة الشهيرة .

المحاضرة رقم 08: خلفيات الاحتلال (الأسباب غير المباشرة) :

1- الخلفيات السياسية :

- رغبة شارل العاشر في إيجاد تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الابيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر ، و التمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك تابعا للإمبراطورية العثمانية.
- تأزم الأوضاع السياسية الداخلية في فرنسا بعد تولي شارل العاشر الحكم في سنة 1824 ، حيث بدأ الصراع الداخلي بين الأسرة الملكية التي صممت على معاقبة الأفراد الذين تعاملوا مع الحكم الثوري الذي وضع حدا لامتيازاتها و بين المعارضة من الجيل الثوري الجديد التي خلقت مصاعب داخلية للملك الفرنسي ، و هكذا وجد شارل العاشر نفسه وجها لوجه مع أعضاء البرلمان الجديد الثائرون على الأسرة الملكية ، و رأى أن الحل الوحيد للتغلب على الأزمة هو ترضية ثلاثة أطراف : أولا : رجال الجيش بتشجيعهم على تحقيق انتصار عسكري يعيد لهم الثقة و الهيبة الاجتماعية التي فقدوها بعد انهزامهم في أوروبا عام 1815 ، ثانيا : التجار : بخلق تحالف مع التجار الذين جردتهم الثورة من مكانتهم الاجتماعية المرموقة في المجتمع و الامبراطورية قضت على أرباحهم الهائلة غداة انهزام نابليون و إعادة السيطرة البريطانية على التجارة في العالم. ثالثا : المعارضة : بإسكاتها من خلال إحراز انتصار باهر على داي الجزائر. و تحقيق انتصار سياسي على المعارضة الليبرالية.
- سعي حكومة شارل العاشر إلى إلهاء الرأي العام الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية .
- تشجيع الدول الكبرى مثل بريطانيا و النمسا شارل العاشر على القيام بغارة على الجزائر ، بحيث يحافظ على عرشه و يبقى في الحكم لمدة أطول ،نظرا لأن مصالح هذه الدول كانت في إبعاد فرنسا من أوروبا و تشجيعها على الاهتمام بمناطق أخرى غير أوروبا.
- اعتبار حكومة الرياس في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تنهار ، و الدول الأوروبية تتهيأ للاستيلاء على الأراضي التابعة لها .
- تطلع فرنسا إلى التعويض عما فقدته من مستعمرات و مراكز في أمريكا الشمالية و الهند و غرب افريقيا (السنغال) عقب حرب السنوات السبع (1763-1756) ضد بريطانيا ، و كذلك بعض الأراضي في أوروبا بعد حروب نابليون.

2- الخلفيات العسكرية :

- انهزام الجيش الفرنسي في أوروبا و فشله في احتلال مصر و الانسحاب منها تحت ضربات القوات الانجليزية في سنة 1801 ، و انهزامه مرة أخرى مع نابليون في معركة واترلو 1815 و تحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا ، جعل الملك شارل العاشر

يفكر في اشغال الجيش بمسائل حيوية و المتمثلة في التوسع في افريقيا باحتلال الجزائر ، و بالتالي يتخلص الملك من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده في فرنسا ، و بالفعل فإن الجيش الفرنسي قد انشغل باحتلال الجزائر و أقام سلطة عسكرية متينة بهذا البلد إلى غاية 1954.

3- الخلفيات الاقتصادية :

إن الجوانب الاقتصادية قد لعبت دورا قويا في إقدام فرنسا على احتلال الجزائر ، و يظهر هذا بوضوح في الدراسة التي نشرها السيد تاليران في شهر جويلية من عام 1797 و التي عنوانها " محاولة حول الامتيازات التي يمكن الحصول عليها من جراء إنشاء مستعمرات جديدة في الظروف الحالية ." و عليه يمكن أن نلخص خلفيات فرنسا الاقتصادية في احتلالها لجزائر فيمايلي:

- اعتقاد فرنسا أنها ستحصل على غنيمة تقدر ب 150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي.
- تطلع فرنسا إلى ثروات الجزائر الزراعية و المعدنية و أسواقها التجارية ، خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية عام 1825 ، و هي الحقيقة التي أقر بها وزير الحرب الفرنسي " كليرمون تونير " (Clermont Tonnerre) في تقريره الذي ارسله الى شارل العاشر في سبتمبر 1827 ، حيث يقول " ...توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا ، و تحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد و الرصاص ، و تزخر بكميات هائلة من الملح و البارود ، كما توجد في سواحلها ملاحات غنية ..."

يذكر أن فرنسا منذ بدأ علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر و هي تستفيد من خيرات البلاد الاقتصادية ، حيث كانت قد نجحت فيما مضى بفضل علاقتها الودية مع الدولة العثمانية في تأسيس أول شركة فرنسية للاستثمار المرجان " شركة لانش " في عام 1561 ، شريطة عدم تسليح المركز بالسواحل. كما عملت فرنسا قبل غيرها على انشاء مؤسسات تجارية لها بالجزائر و تطلع بعض مواطنيها من تجار مدينة مرسيليا إلى إقامة مراكز لهم على ساحل الجزائر لصيد و لتموين مراكبهم التجارية .

- التخلص من تسديد ديونها المتبقية للجزائر ، و تتلخص قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليهودين بكري و بوشناق بالقنصل دوفال ، فكان اليهوديان يقومان بتسديد ما اشترته فرنسا من الحكومة الجزائرية نيابة عنها ، بعدما كانت فرنسا من قبل تشتري ما تحتاجه مباشرة من موانئ الجزائر ، و عندما طالب الداي حسين بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين اليهوديين على توقيف الدين .

و بناءا على ذلك فإن مسؤولية مشكل تعقد الديون و تمثيل مشهد حادثة المروحة تقع على القنصل الفرنسي دوفال و على اليهوديين .

4- الخلفيات الدينية :

- إن الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوروبية و الدولة العثمانية الاسلامية قد انعكس على الجزائر ، خاصة بعد التعاون الوثيق بين الدولتين لحماية المسلمين و الدفاع عن الاسلام ، الأمر الذي دفع بالدول المسيحية في أوروبا أن تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر و في اسطنبول .

و قد تجسدت النزعة الصليبية و التضامن المسيحي ضد الجزائر و الخلافة العثمانية و ولايتها الإسلامية ، في مؤتمري فيينا و اكس لاشبيل أين اجتمعت فيهما الدول المسيحية و

قررت القضاء على دار الجهاد (الجزائر) ، مدعية أن الجزائر تلجأ إلى محاربة المسيحيين في كل مكان.

- إحياء المسيحية في افريقيا بتنصير الجزائر ، و هي الحقيقة التي أثبتتها تصريحات و تقارير قادة فرنسا السياسيين و الدينيين عشية الغزو ، و من ذلك ما قاله وزير الحرب كليرمون تونير في تقرير إلى الحكومة يوم 14 أكتوبر 1827 " يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء و نحن نمدن الجزائريين ، أن نجعلهم مسيحيين ، لنحقق بذلك نصرا يبدو أن العناية الإلهية تعده لنا." كما نجد في هذا السياق تصريح الملك شارل العاشر يوم 2 مارس 1830 بقوله " ...إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي ، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها." و غيرها من التصريحات التي تؤكد الخلفية الدينية لاحتلال فرنسا للجزائر.

5- الخلفيات الاجتماعية :

- تزايد أعداد سكان فرنسا بفضل تحسن ظروف الصحة و الحياة ، إذ بلغوا 33 مليونا عام 1830 ، و البحث عن مجال لإسكان بعضهم .

الأسباب المباشرة :

كتبت جريدة مونيتور (Moniteur) الفرنسية تبرر اقدام فرنسا على احتلال الجزائر ، و تذكر أن فرنسا قد أقدمت على ضرب الحصار على الجزائر نظرا للأسباب التالية :

1- أن الداي حسين قد سمح لصيادي المرجان من كل الأجناس بالصيد على الساحل الجزائري ، و بذلك إنهاء الاحتكار الفرنسي لهذا النشاط سنة 1826 ، و في ذلك مساس بكرامة فرنسا.
2- أن الداي حسين قد أقدم على تفتيش المؤسسات التجارية العاملة في الشرق الجزائري.
3- أن الداي حسين أجاب بالرفض للوفد الذي ذهب إليه باسم مؤتمر إكس لاشبال.
4- ان الداي حسين لم يعاقب الذين هاجموا السفينة الفرنسية .
5- أن الداي حسين قد فتح التجارة حرة أمام أوروبا بأكملها.
6- أن الداي حسين منع المؤسسات الفرنسية في القالة من أن تقيم المدافع على الحصن لحماية نفسها من هجومات الجزائريين.
7- ان الداي حسين قد وجه برقية شديدة اللهجة فيها احتجاجا على الحكومة الفرنسية التي لم تسدد الديون المترتبة عليها.
8- اهانة شرف فرنسا بضرب الداي القنصل الفرنسي بمروحته و رفض الاعتذار له.

و بناء على ما تقدم من خلال استعراضنا للمشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر و الخلفيات السياسية و الاقتصادية و العسكرية لغزو هذا البلد نستشف أن حادثة المروحة ما هي إلا ذريعة افتعلتها فرنسا لتبرر احتلالها للجزائر ، و خير دليل على ذلك ما صرح به رجل الدولة النمسوي ميتيرنيخ (Metternich) قائلا " لا يلقى هكذا بمئات الملايين ، و لا يرسل هكذا مثل هذا الجيش المرمرم عبر البحر ، من أجل ضربة بمروحة ."

المحاضرة رقم09: مراحل الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830م.

مراحل الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830

أ- مرحلة الحصار البحري الفرنسي للسواحل الجزائرية 1827-1830
ب- مرحلة اعداد مشروع الحملة العسكرية على الجزائر

ت- الاستعداد الفرنسي للحملة العسكرية على الجزائر (مرحلة التحضير للحملة)
ث- الاستعدادات الجزائرية للحملة
ج- انطلاق الحملة من ميناء طولون إلى سيدي فرج
ح- سقوط العاصمة و بداية الاحتلال .
خ- التوسع الفرنسي في الجزائر .
د- النتائج الأولية للاحتلال و ردود الفعل داخليا و خارجيا

أ- مرحلة الحصار البحري الفرنسي للسواحل الجزائرية 1827-1830 :

وصل خبر حادثة المروحة إلى فرنسا في الوقت الذي تصاعد فيه نشاط المعارضة ضد ملك فرنسا شارل العاشر ، فحاولت المعارضة استعمالها ضد الحكومة ، لكن هذه الخيرة تحركت لتجعل من الحادثة ورقة رابحة في يدها هي لا في يد المعارضة .

و عليه كان رد فرنسا على حادثة المروحة إرسال قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان كولي (Collet) ، و قد وصلت القطعة يوم 12 جوان 1827 ، و صعد القنصل دوفال سفينة القبطان . جاء كولي يطلب من الباشا (الداي حسين) أن يأتي شخصيا إلى السفينة و يعتذر للقنصل ، و لما كان معروفا مسبقا أن الباشا لن يرضى بذلك فقد اشتملت تعليمات كولي على اقتراحات أخرى هي :

- أن يستقبل الباشا القبطان و رئيس أركانه و القنصل بمحضر الديوان و القناصل الأجانب و يعتذر أمامهم إلى دوفال .
- أن يرسل بعثة برئاسة وكيل الحرج (وزير البحرية) إلى قطعة الأسطول الفرنسي ليعتذر باسم الباشا إلى القنصل .
- أن يرفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية ، بما في ذلك القصبة و تطلق مائة طلقة مدفع تحية له.

و كانت تعليمات كولي تقتضي أنه في حالة قبول الباشا أحد الحلول الثلاثة يتقدم إليه بعد ذلك بعدة مطالب فرنسية تتضمن :

- دفع التعويضات
- معاقبة الجزائريين المسؤولين عن الأضرار بالمنشآت الفرنسية .
- تسليح هذه المنشآت في المستقبل .
- اعلان الجزائر أنه لا حق لها في دين بكري.
- في حالة عدم استجابة الداي لواحد من هذه الاقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر.

و من جهة الجزائر توجه الحاج أحمد باي برسالة إلى المسؤولين في عنابة يوم 14 جوان 1827 وضح فيها أن السلطة لم تكن تريد تصعيدا مع فرنسا ، كما دعى هؤلاء المسؤولين إلى اليقظة و المراقبة الصارمة لجهة البحر " ليلا و نهارا " . على صعيد آخر أوصى في رسالته موظيفي بايلك الشرق بحسن معاملة الفرنسيين و عدم التعدي عليهم أو ظلمهم.

و في 15 جوان 1827 أرسل كولي عن طريق قنصل سردينيا في الجزائر الكونت D'Attili الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية بعد انسحاب دوفال انذارا للداي حسين ، و أعطاه أجل قبول هذه الاقتراحات أربعة و عشرين ساعة فقط (24 ساعة) ، و

كان رد فعل الداي أنه لا يفهم أنه بدلا من أن تعين فرنسا قنصلا جديدا و تكتب إليه مباشرة لجأت إلى ارسال إنذار مضحك مع ضابط بحرية .

و عندما انقضى أجل الانذار بدون رد أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر في يوم 16 جوان 1827 في غياب الأسطول الجزائري الذي كان في طريقه إلى اليونان لمساعدة الدولة العثمانية في معركتها البحرية المشهورة نافارين ، و قد ظل إعلان الحرب من فرنسا على الجزائر في شكل حصار بحري لميناء الجزائر. بغرض تحقيق عدة أهداف نوجزها فيمايلي :

1- قطع التموين عن الجزائر ، و بالتالي إضعاف قوتها الاقتصادية المعتمدة على النشاط البحري .
2- إغلاق الباب أمام أي تدخل محتمل من طرف الدولة العثمانية أو الدول الأوروبية المنافسة لها من جهة .
3- إعطاء الوقت الكامل لمساعيها الدبلوماسية لإقناع الدول الأوروبية بجدوى احتلال الجزائر مدعية أن ذلك في صالح أوروبا و المسيحية عموما.

و كرد فعل على هذا الحصار أمر داي الجزائر باي قسنطينة بالاستيلاء على المنشآت الفرنسية الواقعة في إقليمه. و في بعض الروايات التاريخية تقول أن الداي حسين أمر بتخريبها .

الجدير بالذكر أن البحارة الجزائريين عملوا على فك الحصار ، فقاموا بمحاولات عديدة منها محاولة 4 أكتوبر 1827 ، أين تمكنت 11 قطعة بحرية تحمل متطوعين من الخروج من ميناء الجزائر ، فخرجت خمس قطع فرنسية من خط الدفاع لتواجهها ، و جرت معركة و اشتباكات عنيفة بين الطرفين دامت ساعتين ، لتنتهي بانسحاب الجزائريين و عودة القطع الفرنسية إلى خط دفاعها.

و من جهة أخرى تواصلت القرصنة البحرية بين فرنسا و الجزائر ، ففي شهر أوت من عام 1827 استولى الرياس على سفينتين فرنسيتين في مياه وهران و أسروا بحارتهما ، لكن الفرنسيين تمكنوا يوم 25 أكتوبر من نفس السنة من إغراق أربع سفن غرب مدينة الجزائر ، و في 22 ماي من سنة 1828 أغار الفرنسيون على ميناء وهران و تمكنوا من استرجاع إحدى سفينتيهم اللتين وقعتا بيد الجزائريين .

و بعد هذه الاصطدامات رابطت حوالي 12 قطعة بحرية قبالة الموانئ الجزائرية و شكلت دورية بحرية من 6 قطع أخرى ، و كلفت قطع أخرى بمراقبة الملاحة و توفير الأمن لها ، و وضعت قطع أخرى في حالة استنفار دائم. و هكذا أصبح عدد القطع البحرية المكلفة بالحصار حوالي خمسين قطعة (50 قطعة بحرية).

ب- اعداد مشروع الحملة العسكرية على الجزائر :

بقي الحصار مستمرا على الجزائر و بالمقابل فتحت فرنسا باب المفاوضات مع الجزائر تهدف منها إلى إلغاء الحصار بطريقة مشرفة ، فبعثت عدة وفود لغرض استئناف المفاوضات ، منها البعثة التي ذهبت الى الجزائر بقيادة الضابط بيزار (Bézard) في 29 أفريل 1828 ، و لكن البعثة فشلت في التفاوض مع الداي حسين لإصراره على عدم دفع تعويضات إلى فرنسا . و تلا ذلك بعثة أخرى بقيادة نفس الضابط التي فشلت أيضا لأن الباشا رفض أحد الشروط الفرنسية الأساسية و هو إرسال وزير من حكومته إلى باريس للاعتذار ، و اشترط أن يفعل ذلك فقط بعد توقيع معاهدة صلح مع فرنسا.

و ففي جويلية 1829 وصل مبعوث خاص من شارل العاشر ملك فرنسا ، للمفاوضات مرة أخرى مع الداي حسين ، و كانت شروطه التي رفضها الداي حسين قائلا : " لدي بارود و مدافع ." :

- رد الاعتبار للشرف الفرنسي المهان.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين.
- إنهاء فرض الاتاوة.
- إنهاء القرصنة.

و خلال مدة الحصار البحري على مدينة الجزائر التي دامت ثلاث سنوات ضعفت القوات الفرنسية و نفذت ذخيرتها و انقرض معظم جيش الضابط كولي ، و تكسرت أكثر المراكب و كانت خاتمة أمر هذا الضابط بقتله ، و في هذا الصدد ذكر بعض المؤرخين أن النفقة على هذا الحصار كانت أكثر من عشرين مليون فرنك ، و بالمقابل الجزائر لم يلحقها ضرر كبير .

إن تكاليف الحصار الباهظة سواء من حيث تكاليف الأسطول أو من حيث الخسائر التي لحقت التجارة الفرنسية التي كانت مهددة بسبب عدم توقف القرصنة الجزائرية بصفة نهائية إلى درجة أن التجارة الفرنسية عادت إلى أسلوب القوافل ، أو من حيث الخسائر البشرية من جهة و أمام فشل المفاوضات مع الجزائر ، و إصرار فرنسا على مطالبها بإرغام الداي على الاعتذار و دفع تعويضات و إصراره بدوره على الرفض ، جعلت فرنسا ترى عدم نفع حصارها البحري على الجزائر ، و تخطط لتنتقل إلى الخطوة الثانية المتمثلة في تحويل الحصار إلى حملة .

يذكر بعض المؤرخين أنه من اليوم الذي أمر ملك فرنسا شارل العاشر من الضابط كولي ضرب حصار بحري على مدينة الجزائر شرعت فرنسا في اعداد مشروع الحملة ، و أعدت عدة مشاريع من طرف جنرالات و نواب. حيث ارتفعت بعض الأصوات تنادي بالعودة إلى مشروع نابليون المتعلق باحتلال مدينة الجزائر ، و من بين الذين كانوا متحمسين للمشروع نجد المركيز كليمون طونير وزير الحربية الذي قدم تقريرا إلى الملك يوم 14 أكتوبر 1827 ، يتضمن مشروعا مفصلا لعملية غزو مدينة الجزائر جاء في مقدمته " الحرب قائمة مع مدينة الجزائر ، كيف يمكن إنهاؤها بشكل مفيد و مجيد لفرنسا ؟ هذه هي المسألة التي يجب فحصها."

كما جاء في تقريره أنه لا فائدة من الحصار ، موضحا في ذات الوقت الأسباب التي تحتم الحملة و تستجيب ل " حق " الملك في القيام بها ، كما استعرض في تقريره الوسائل التي لابد منها لانجاز العملية. يذكر أن المشروع الذي تقدم به وزير الحربية كليمون طونير إلى ملك فرنسا شبيه بالمشروع الذي اقترحه الجاسوس بوتان في عهد نابليون ، و لكن في نهاية الأمر اتبعوا خطة بوتان –السابقة الذكر

و من جهته أعد رئيس مجلس وزراء فرنسا " بولينياك " خطة تتمثل فيما ينبغي أن تكون عليه الجزائر بعد الانتصار عليها ، و اقترح على مجلس الوزراء حرية الاختيار بين البدائل التالية :

- إبقاء الداي في حكم الجزائر على أن تشرف فرنسا عليه من الناحية العسكرية فيحدد له عدد الجيش و الأسطول الذي يستطيع الداي الاحتفاظ به .

- إعادة الجزائر إلى الدولة العثمانية لإنشاء حكومة منظمة فيها تضمن احترام الجزائريين للملاحة في البحر الأبيض المتوسط.
- أن تتقاسم فرنسا الجزائر مع الدول الأوروبية و خاصة انجلترا.
- أن تحتل فرنسا الجزائر بصورة دائمة و أن تستغلها اقتصاديا .

و بالطبع فإن الاقتراح الرابع هو الذي وقع عليه الاختيار بعد الانتصار الفرنسي على الداي و زوال حكومته.

و بناء على ما تقدم و بعد ثلاث سنوات من الحصار و فشله في إرغام الداي على تقديم الاعتذار ، و بعد ثلاث سنوات من تصاعد قوة المعارضة اليبرالية لنظام شارل العاشر ، قرر مجلس الوزراء الفرنسي يوم 31 جانفي 1830 تنظيم حملة على مدينة الجزائر ، حدد الوزير الأول بولونياك أهدافها بقوله " هناك مصلحتان متمايزتان ، و لكنهما متصلتان اتصالا وثيقا ، قد أدتا الى الاستعدادات التي جرت في موانئنا ، احداهما تخص فرنسا بالدرجة الأولى : و هي الثأر لشرف رايتنا ، و الحصول على تصحيح الأخطاء التي كانت السبب المباشر في النزاع ، و للمحافظة على ممتلكاتنا من الاعتداءات و أعمال العنف التي تعرضت لها في كثير من الأحيان ، ثم الحصول على تعويض مالي ، بالقدر الذي تسمح به دولة الجزائر ، على مصاريف الحرب التي لم نتسبب فيها . أما المصلحة الثانية التي تهم البلاد المسيحية عامة ، فهي إلغاء الرق و القرصنة و دفع الجزية التي مازالت أوروبا تدفعها إلى ولاية الجزائر."

المحاضرة رقم 10: لاستعداد الفرنسي للحملة العسكرية على الجزائر (مرحلة التحضير للحملة)

بعد أن تقررت الحملة بصفة فعلية ، عملت فرنسا في اتجاهين :

1- **تحضير الحملة بشريا :** تم تعيين كل من " دوبري " قائدا للقوات البحرية ، و " البارون ديني " معتمدا عسكريا ، و كلف الجنرال " فالازي " بالهندسة ، كان على هؤلاء أن يشرفوا على عمليات التحضير .

و على صعيد آخر عين الجنرالات قبل انطلاق الحملة بشهرين ليتمكنوا من التعرف على جنودهم ، حيث عين " بيرتزين " على رأس الفرقة الأولى التي عسكرت بين طولون و دراغينيون ، و عين لوفيردو على رأس الفرقة الثانية التي عسكرت بين طولون و إيكس ، و وضع الدوق كارس على رأس الفرقة الثالثة التي عسكرت في إيكس . علما أن مجموع جنود الفرق الثلاث كان أكثر من 25 ألف رجل ، أما الخيالة فحوالي 500 فارس ، عسكروا في تارسكون ، بينما عسكرت الهندسة التي كانت تتكون من 8500 رجل في ضواحي أرل ، و احتلت المدفعية التي بلغ عدد رجالها 2500 أبواب طولون ، و أخيرا عين وزير الحربية نفسه الكونت " دوبورمون " على رأس الحملة ، و كان تحت إمرته 17 ضابطا برتبة جنرال.

و من جهة أخرى ضمت الحملة بالإضافة إلى العسكريين هيئة من مترجمين بلغ عدد أفرادها حوالي 40 مترجما ، منهم " جورج كاروي " و " ليون أياس " ، كما رافق الحملة رسامون .

2- **تحضير الحملة ماديا :** تطلب تحضير الحملة ماديا حوالي ثلاثة أشهر من العمل ليلا نهارا ، عين أصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي ، تجمعت 100 بارجة تملكها الدولة

و 500 سفينة تجارية في مرسيليا و طولون ، كما جمعت كمية ضخمة من الملابس و من الخيام و الأغطية و أغذية شهرين و الأعلاف و العربات و أدوات شق الطرق و الأخشاب و الحواجز و كمية ضخمة من الخراطيش (5 ملايين خرطوشة) و أكثر من 280 ألف كلغ من البارود و عتاد التلغراف ، و حملة الحملة معها كذلك مطبعة ...الخ. علما أن هذا العتاد الضخم كان كله جاهزا على متن السفن قبل 15 ماي.

3- تهيئة الرأي العام الداخلي و الدولي :

تمكنت فرنسا من أن تحصل على موافقة اسبانيا للاستعمال موانئها و إقامة مستشفى في ماهون بالبليار يستعمل لعلاج الجرحى و المرضى ، كما نجحت في ضمان حياد حسين باي تونس في حربها مع الجزائر منذ 1828 ، بل سمح هذا الباي بتسهيل تموين الحملة ان اقتضت الضرورة لذلك . و من جهته التزم يوسف باشا طرابلس بالعمل على شل قوات محمد علي إن جاءت من مصر . أما المغرب الأقصى الذي عبر عن امتناعه الصريح بتقديم العون للجزائر ، فقد سمح سلطانه مولاي عبد الرحمن للفرنسيين بالتزود من موانئه في حالة الضرورة كذلك .

و لم تلق فرنسا موقفا رافضا بصراحة سوى من انجلترا التي كانت تنظر إلى الحملة بعين الريبة و الشك ، إلى درجة أنها طالبت بتوضيحات خاصة بالحملة ، غير أن وزير البحرية الفرنسية لم يرفض تقديم التوضيحات فحسب بل رد على السفير الانجليزي متحديا إياه " امنعونا إن أردتم أو بالأحرى إن استطعتم ."

ث- استعدادات الجزائر لمواجهة الحملة :

بينما كانت فرنسا تستعد للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر كانت هذه تستعد أيضا لمواجهة الـ
حملة ،حيث اقدم الداي حسين باشا على تخصيص مرتبات لعدد
من الجواسيس في كل من ايطاليا ومرسيليا وطولون و باريس
، فنقلوا إليه خبر استعداد فرنسا لغزو المدينة و أنها أعدت أسطولا رهيبا لإرساله ، و
قد أكد هذا الخبر سفينتان جزائريان استطاعتا أن تتسللا ليلا بين السفن الفرنسية المحاصرة
، كانت أحداهما تحمل العلم الانجليزي و الأخرى العلم الايطالي ، و
من ضمن الأخبار التي نقلت
أيضا أن الأسطول سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر ماي 1830 ، و
أنه سيرسو على الأرجح غرب المدينة في شبه جزيرة سيدي فرج .

و لهذا كان حسين باشا على علم بتفاصيل الحملة قبل وقوعها ، لكن رغم الأخبار التي جاءته من الجواسيس تنذره بوقوع الحملة الفرنسية على الجزائر ، إلا أنه اعتقد أن ذلك لن يتعدى الضرب من البحر(غارة بحرية) شأنها شأن الحملات الأوربية السابقة ستفشل لا محالة كما فشلت سابقاتها.

و من جهة أخرى كان الداي حسين لا يزال على الاعتقاد بأن الفرنسيين لن يتخلوا عن فكرة التفاوض رغم استعداداتهم لحملة ، و كان يساعده على اعتقاده كثرة الرسل و البعثات التي جاءت طالبة التفاوض منذ إعلان الحصار.

إن ثقة الداي حسين في عدم هجوم فرنسا برا على مدينة الجزائر هي التي منعته من تحصين سيدي فرج و استعمال كل إمكانياته ، و كما يقول حمدان خوجة في كتابه " المرآة " " في سيدي فرج لم تحضر المدفعية ، و لم تحفر الخنادق و لم يكن هناك سوى 12 مدفعا كان الآغا السابق (يحي آغا) قد نصبها في بداية اعلان الحرب ." مضيفا بقوله " و في اليوم

الذي نزل فيه الماريشال دوبورمون مع جيشه لم يكن تحت تصرف الآغا سوى 300 فارس ، و لم يكن مع باي قسنطينة إلا عدد قليل جدا من الأجناد ، لأنه لم يكن مستعدا لخوض المعركة ، و كان باي التيطري في المدية ، و لم يصل منها إلا بعد بضعة أيام " الإنزال الفرنسي .

و من جهة أخرى لم يكن ابراهيم آغا قادرا على مواجهة الفرنسيين ، حيث لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام ، و لم بعرف الشيء الكثير من التكتيك العسكري . إن " الآغا ابراهيم لم يعد أي شيء و لم يتخذ أي نوع من التدابير و لم يعطي أي أمر ، و هكذا إذن كان هذا الآغا يريد محاربة الفرنسيين بدون جيش منظم و لا ذخيرة حربية و لا مؤن ، و لا شعير للخيل ، و بدون أن تكون له المقدرة الضرورية للقيام بالحرب."

و لم يكتف ابراهيم آغا بعدم القيام بأية استعدادات لصد العدو ، بل إنه عارض اقتراحات زملائه أمثال الحاج أحمد باي قسنطينة الذي رأى أنه ليس من السياسة في شيء أن تجمع القوات الجزائرية في نقطة واحدة ، و إن من الواجب توزيعها بحيث يحمل جزء منها إلى غربي سيدي فرج ، و معنى ذلك أن الفرنسيين إذا لاحقوا الجيش ، فإنهم سيبتعدون عن هدفهم الذي هو مدينة الجزائر ، و سيكون ذلك لصالح الجزائر ، إذ يستطيع الجيش البدء بالهجوم. و اذا قصد الفرنسيون مدينة الجزائر ، فإن الجيش الجزائري سيهاجمهم من الخلف و الانتصار عليهم ، كما اقترح باي قسنطينة أن يتولى كل قائد الاعتناء بجزء من الجيش .و يكون مقر القيادة مدينة الدار البيضاء

و كان رد ابراهيم آغا من هذه الاقتراحات بقوله " إنكم لا تعرفون التكتيك الأوروبي ، إنه يتعارض كل المعارضة مع تكتيك العرب . " و رأى باي قسنطينة في هذه الإجابة البليدة إهانة له ، لذلك التزم الصمت و لم يسمح لنفسه بإبداء أية ملاحظة أخرى.

و " لولا كان الآغا يحي على رأس الجيش الجزائري بدل ابراهيم آغا لكانت الأمور أحسن حالا ، لأن تجاربه في البحر و البر و شجاعته في كل المناسبات تكون ضمانا للجندي الذي يعمل تحت أوامره."

أما من جهة داي الجزائر فقد أرسل المراسيل إلى داخل البلاد يدعون إلى الجهاد ضد الفرنسيين ،فاستجاب لندائه الرسميون و الأهالي على السواء ، فوعده الحاج أحمد باي قسنطينة ب 30 ألف محارب ، و
وعد حسن باي وهران ب 6 آلاف محارب ، و
وعد مصطفى بومرزاق باي التيطري ب 20 ألف محارب ، و
جمع شيوخ جرجرة بين 16 و 18 ألف محارب ، و
جمع أهالي ميزاب حولي 4 آلاف محا رب. و أرسل الداي حسين أيضا إلى باي وهران يأمره بتحصين الميناء ، كما أرسل إلى باي قسنطينة يأمره بتحصين ميناء عنابة و يستقدمه إلى العاصمة طبقا للتقاليد التي تقتضي القدوم كل ثلاث سنوات ، كما أمر بإجراء إحصاء لعمال مدينة الجزائر و إرسالهم إلى القلاع للدفاع عنها.

و رغم هذه الاستعدادات الظاهرية للجزائر إلا أن

ج- انطلاق الحملة من ميناء طولون إلى سيدي فرج :

غادرت الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال وزير الحرب " دي بورمون " ميناء طولون الحربي يوم 25 ماي 1830 ، متجهة إلى الجزائر ، و قد وصلت الحملة إلى ميناء العاصمة الجزائرية في 14 جوان 1830 و نزلت بشبه جزيرة سيدي فرج غربي العاصمة على بعد

28 كلم ، وفق خطة بوتان التي وضعها في عهد نابليون ، و التي أكد فيها أن تلك المنطقة هي نقطة الضعف في الدفاع الجزائري .

كما قضت خطته أن أنجع طريقة للانتصار هي النزول بهذه المنطقة ، ثم مهاجمة مدينة الجزائر برا من ناحية الجنوب ، لعلم بوتان بإهمال الأتراك التحصينات البرية ، و اكتفائهم بالدفاعات البحرية القوية .

و في غياب خطة عسكرية دفاعية و اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع الحملة من النزول إلى البر ، نجح الفرنسيون دون مقاومة تذكر و استولوا على سيدي فرج ، و انتصروا على قوات الداي في اسطاوالي أين كان معسكر القوات الجزائرية في 19 جوان 1830.

و واصلت قوات دي بورمون في الزحف على الجزائر العاصمة تبعا للخطة التي رسمها بوتان ، و في 4 جويلية سقط " برج مولاي الحسن " في يد الفرنسيين بعد أربعة أيام من المعارك. و هو الحصن الذي يشرف على العاصمة و الوحيد الذي كان يحمي المدينة من الجهة الجنوبية و الجهات البرية بصورة عامة . و عندما يئس الأتراك من ايقاف الهجوم الفرنسي على الحصن أضرموا النار في خزينة الذخيرة و فجروا الحصن ، لئلا يستخدمه الفرنسيون لقصف العاصمة .

و أمام هذا الوضع الحرج جمع الداي حسين أعيان المدينة و رجال القانون و الدين وشرح لهم الوضع الذي تمر به البلاد و طلب منهم النصيحة فيما يفعل لمواجهة الموقف .و

قد وضع أمامهم السؤال التالي :هل من الصواب مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين ؟ أو يجب تسليم المدينة إليهم و التوقيع معهم على معاهدة الاستسلام ؟ و بعد تقليب الموضوع من عدة وجه أجابوه بجواب غامض ، و هو أنهم على استعداد لمواصلة الحرب ، و لكن إذا كان رأيه غير ذلك فهم يطيعون أوامره .

و في ليلة 2 جويلية عام 1830 م أي قبل ثلاثة أيام من دخول الجيش الفرنسي للمدينة ، اجتمع عدد من أعيان مدينة الجزائر و قرروا أن ضياع المدينة أصبح أمرا محتما ، و أنه إذ ما دخلها الفرنسيون عنوة فإنهم سيبيحونها وينهبون ثرواتها و يعتدون على النساء و يقتلون الأطفال ، و رأوا ، تفاديا لذلك قبول اقتراح الباشا (الداي حسين) الثاني الذي ينص على الاستسلام بعد توقيع معاهدة ، مقتنعين أن فرنسا ستترك الجزائريين يتمتعون بدينهم و تقاليدهم و ستترك لهم أموالهم و مساجدهم و زواياهم .

و بناء على ذلك قرروا عدم مقاومة الفرنسيين عند دخول المدينة و أرسلوا وفدا عنهم إلى القصبة لمقابلة الباشا و اطلاعه على ما اتفقوا عليه .و قد أجابهم بأنه سينظر في القضية خلال اليوم التالي. و

في يوم 4 جويلية 1830 أرسل الداي حسين كاتبه مصطفي مصحوبا بالقنصل الانجليزي و أحمد بوضربة و حمدان بن عثمان خوجة كمترجمين إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع " دي بورمون" . و عرض عليه الصلح ، حيث كان الداي مستعدا لتحقيق الأمور التالية :

- التنازل عن كل الديون
- الدفع نقدا كتعويض عن الاعتذار
- إعطاء جميع الامتيازات للتجارة الفرنسية .
- تعويض جميع نفقات الحملة

و لكن دي بورمون رفض هذه العروض و أصر على استسلام الداي و تسليم العاصمة ، فعرض عليه عن طريق رسوله وثيقة تتضمن الشروط التالية :

- يسلم حصن القصبة ، و كل الحصون التابعة للجزائر ، و ميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي صبيحة يوم 5 جويلية 1830 على الساعة العاشرة.
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو ، داي الجزائر ، بترك الحرية له ، و حيازة كل ثرواته الشخصية
- للداي حسين كامل الحرية في اختيار المكان الذي يرغب السفر إليه رفقة عائلته و أمواله ، و يكون تحت حماية القائد العام الفرنسي طوال اقامته في الجزائر ، وسيتولى حرس ضمان أمنه الشخصي و أمن أسرته.
- يتمتع الجنود الأتراك التابعين للجيش الجزائري بالحقوق المقررة في الفقرات السابقة (أي نفس الامتيازات و نفس الحماية .)
- ستبقى ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية حرة ، و لن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، و لا بدينهم ، و لا بأملاكهم ، و لا بتجارتهم و صناعتهم ، و ستكون نساؤهم محل احترام و يتعهد القائد العام الفرنسي بذلك عهد شرف.
- سيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة ، و سيدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا إلى القصبة ، ثم تدخل بالتتابع كل الحصون المدينة البحرية .

و اضطر الداي إلى قبول الشروط الفرنسية السالفة الذكر ، و وقع على وثيقة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830.

المحاضرة رقم 11: التوسع الفرنسي في الجزائر وموقف الدول من الإحتلال

سقوط العاصمة و بداية الاحتلال :

في يوم 06 جويلية 1830 م دخل الجنود الفرنسيين مدينة الجزائر من الباب الجديد بأعلى المدينة و أنزلت أعلام دولة الداي من جميع القلاع و الأبراج و ارتفعت في مكانها رايات الاحتلال الفرنسي ، و أقيمت صلاة للمسيحيين و خطب فيها كبير قساوسة الحملة ، فقال مخاطبا قائد الحملة الفرنسية : " لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا ." و في يوم 10 جويلية رحل الداي عن مدينة الجزائر و توجه إلى نابولي بإيطاليا ، ثم التحق بفرنسا ، و أخيرا توجه إلى الاسكندرية حيث أقام بها حتى وفاته و دفنه بها سنة 1834 .

و هكذا " تحولت الحملة في غضون أيام إلى احتلال ، و تحول تأديب الداي حسين باشا إلى تأديب شعب و أرض ، و تحول الانتقام من " الترك المستبدين الغرباء " إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي و مسلم و لأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال ، و أخيرا تحول المحررون إلى غزاة نقلوا حربهم من مدينة الجزائر إلى مختلف أنحاء القطر شرقا و غربا و جنوبا. "

خ- مرحلة توسع الاحتلال الفرنسي في مختلف المناطق الجزائرية :

بعد سقوط مدينة الجزائر خرج دي بورمون يوم 23 جويلية 1830 في حملة عسكرية لتوسيع رقعة الاحتلال بالداخل ، فحاول احتلال مدينة عنابة في 2 أوت من نفس السنة ، إلا أن مقاومة سكانها جعلته ينسحب منها ، و في 13 أوت 1830 حاولت فرنسا احتلال مدينة وهران و المرسى الكبير ، غير أن المقاومة الشعبية اضطرت الحملة الفرنسية لعودة إلى العاصمة منهزمة و التي كانت من نتائجها قطع رأس ابن قائد الحملة على الجزائر العاصمة و وزير الحربية " دي بورمون " المسمى " أميدي ".

و في نفس اليوم (أي 13 أوت 1830) تم تعيين " كلوزال " كأول جينيرال حاكما عاما للجزائر ، و في 20 أوت 1830 بعد الانقلاب الذي حدث ضد الملك شارل العاشر تم نفي دي بورمون إلى اسبانيا .

قام كلوزال بإعادة تنظيم الجيش الفرنسي بعد هزائمه في مختلف مناطق الجزائر ، و أنشأ أول فرقة مشاة من بعض الجزائريين المرتزقة " الزواف " في أكتوبر 1830 ، و كان الهدف من إنشاء تلك الفرقة الاقتصاد في المال و الدم الفرنسي و ضرب الجزائريين بعضهم ببعض .

و في 18 نوفمبر 1830 تمكنت الحملة العسكرية بقيادة " بواييه " من دخول مدينة البليدة الذي حول مسجد البليدة إلى مستشفى عسكري ، و في 22 نوفمبر من نفس السنة تم احتلال المدية.

و في 16 ديسمبر 1830 نجحت القوات الفرنسية في الاستيلاء على وهران ، و في عام 1833 لستولت فرنسا على أرزيو و مستغانم و بعض المناطق المجاورة لهما .

استمرت المناوشات بين المجاهدين و قوات العدو في متيجة خلال 1833 - 1834 ، و ظلت فرنسا خلال ذلك محاصرة في العاصمة ، حيث لم يقم العدو بغزوات جديدة إلا على المدن البحرية .

يذكر أن اللجنة الافريقية التي ارسلت الى الجزائر عام 1833 للتحقيق في الأوضاع و الأحوال في هذا البلد اقترحت أن تكتفي القوات الفرنسية باحتلال المناطق الساحلية فقط ، و عدم التوغل إلى الداخل إلا لضرورة الدفاع عن المناطق الساحلية ، لكن القوات الفرنسية توغلت نحو المناطق الداخلية ، و قامت بالاستيلاء عليها حتى وصلت إلى جانت سنة 1911 .

الجدير بالذكر أن المستعمر الفرنسي لم يتمكن من احتلال كامل التراب الوطني إلا بعد حوالي أربعين سنة (40 سنة) من الكفاح (1830-1870) ، حيث بدأ أول الأمر باحتلال المدن الساحلية ، مثل بجاية و وهران و مستغانم و عنابة ، و منها زحف على المدن الداخلية – كما أشرنا سابقا-

د- أسباب الهزيمة :

1- إعدام الداي حسين قائد جيشه " يحي آغا " في سنة 1827 و استبداله بصهره ابراهيم آغا الذي لا يفهم شيئا في فن الحرب أو قيادة الجيش . و ابتداء من هذه السنة و إلى يوم 5 جويلية 1830 بقي الجيش بدون قائد حقيقي .

2- عدم وضع خطة أو استراتيجية مدروسة و دقيقة لمواجهة الجيش الفرنسي . حيث الخطة الدفاعية التي وضعها الآغا ابراهيم لإعاقة الانزال البحري للجيش الفرنسي كانت غير مجدية ، بل جاءت متأخرة عن أوانها ، لأن تحصين شاطئ سيدي فرج كان يحتاج إلى وقت طويل .

3- رفض الآغا ابراهيم اقتراح الحاج أحمد باي قسنطينة .

4- عدم إعداد الدفاعات الكافية عند ميناء سيدي فرج .
5- سوء تنظيم القوات الجزائرية التي كانت تهاجم العدو بطريقة فوضوية ، فضلا عن افتقارهم للتدريب و الانضباط .
6- اختلال ميزان القوة المادية و البشرية و التنظيمية لصالح الفرنسيين.

النتائج الأولية للاحتلال:

1-نهاية الحكم العثماني في الجزائر
2-قرار إلحاق الجزائر بفرنسا في 22 -07 -1834
3-تحويل الكثير من المساجد إلى كنائس ، مثل جامع كتشاوة.
4-بداية المقاومة الشعبية للاحتلال .
5-طرد العثمانيين من الجزائر.
6-نهب خزينة الداي و خزينة الدولة.
8-مصادرة الأوقاف الإسلامية.

المواقف الدولية من احتلال الجزائر :

تباينت المواقف الدولية من سقوط الدولة الجزائرية بأيدي القوات الفرنسية بين مؤيد و معارض و متحفظ ، و فيما يلي سنذكر أهم هذه المواقف :

1- على المستوى الغربي :

كان موقف الدول الأوروبية في عمومه مؤيد للغزو و الاحتلال ، و فيما يلي سنستعرض أهم ردود فعل الدول الغربية :

- **روسيا :** أيدت روسيا الحملة بلا تحفظ و دعمته بمهندسين عسكريين ، و صرحت بأنها تنظر يعين الرضا إلى احتفاظ فرنسا بمركز قوي في الجزائر لصيانة أمن الملاحة في البحر المتوسط ، لأنها رأت في ذلك تقليلا للاهتمام فرنسا بالشرق و البلقان (محط أنظار روسيا) ، كما أملت أن تحظى بدعم فرنسا لأطماعها في الدولة العثمانية ، و تهديد المصالح البريطانية في البحر المتوسط.
- **ألمانيا :** أيدت الحملة .
- **اسبانيا :** تحفظت من العدوان الفرنسي على الجزائر لاعتقاد بعض أوساطها السياسية و العسكرية بأحقيتها في احتلال القطاع الوهراني من الجزائر ، نظرا لوجودها السابق بوهران و المرسى الكبير لما يقرب من ثلاثة قرون ، و لارتباطها باتفاقية تجارية مفيدة مع الجزائر ، و حرصها على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع بريطانيا ، لكن هذا لم يمنعها في سياق مناصرة الرأي العام الأوروبي لعملية الغزو من السماح للحملة الفرنسية بالتوقف بجزر الباليار للتمون و إقامة مستشفيات بميناء ماهون (Mahon) كما سبقت الاشارة إليه ، و استئجار عدد من سفن الشحن الاسبانية .
- **النمسا :** اضطرت إلى التأييد بعدما كانت في الصف البريطاني المعارض الوحيد ، حيث كان مستشارها مترنيخ يميل إلى موقف بريطانيا ، و في ذات الوقت كان يميل و حكومته إلى تحويل اهتمام فرنسا إلى التوسع خارج أوروبا ، كما عليها مجاراة حليفتها روسيا و بروسيا في تأييد الخطوة الفرنسية ، فقبلت النمسا بالأمر الواقع .
- **بروسيا :** أيدت الغزو و عرضت خدمات ضباطها على فرنسا لتضعف اهتمامها بالمسائل الأوروبية خاصة منطقة الراين ، و لعدم اهتمامها هي بالبحر المتوسط ، فضلا عن وقوعها تحت ضغط حليفتها روسيا.

- **بريطانيا :** عارضت الغزو و احتجت عليه ، لأنها رأت في ذلك تهديدا لتفوقها و مصالحها في البحر الأبيض المتوسط ، و أعلنت أنها لن تسمح بأكثر من عملية قصف لتأديب مدينة الجزائر ، و لكن بريطانيا لم تستطع ترجمة هذا الموقف عمليا. حيث امتنعت عن القيام بأي عمل لإعاقة الغزو أو إجبار فرنسا على الانسحاب لتوقعها انهزام الفرنسيين في الجزائر ، و رهان بعض ساستها على أن فرنسا متى تورطت و غدت مهددة بالهزيمة ، ستلتمس من بريطانيا التدخل لمساعدتها ، و عندها تصبح بريطانيا سيدة الموقف ، و كذا لعدم وجود نية لدى حكومتها بخوض حرب ضد فرنسا بسبب الجزائر.
- **الدول الاسكندينافية و دول الضفة الشمالية للبحر المتوسط :** أيدت الحملة بعد المساعي الدبلوماسية المبذولة في هذا الإطار.
- **الولايات المتحدة الأمريكية :** روى جول كامبون الذي حكم الجزائر بين (1891-1897) أن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت قد عبر له عن امتنان أمريكا لقضاء فرنسا على القرصنة في الجزائر سنة 1830 ، لأن الفرنسيين هم الذين خلصوا أمريكا مما لا يليق بها و هو دفع اتاوات إلى قراصنة الجزائر لحماية تجارتها. و نسب كامبون إلى روزفلت أنه قال له " إنكم بالقضاء على هؤلاء القراصنة قد خدمتم كل الأمم المتحضرة."

2- على المستوى العربي :

- **تونس :** كان باي تونس من المؤيدين للاحتلال انتقاما من دايات الجزائر الذين كانوا يعتبرون تونس تابعة لهم .
- **المغرب** : التزم التحفظ و الصمت .
- **طرابلس :** فقد عارضت الحملة سياسيا و لم تجسد ذلك عمليا .

3- على مستوى الدولة العثمانية : أما بالنسبة إلى الحليف الإسلامي الأكبر و الدولة الأم فلم يكن موقفها في مستوى الحدث نظرا لحالة الضعف التي كانت تعيشها بتفشي الفوضى في قوا تها العسكرية و عدم مواكبتها للتطورات الحضارية الحاصلة في أوروبا ، و بالتالي اقتصر موقفها في إرسال مبعوث خاص هو الطاهر باشا لتبديد الخلاف بين الجزائر وفرنسا ، و لكن هاته الوساطة جاءت متأخرة ، ثم إن فرنسا لم تعرض اهتماما ، و قد كانت قواتها قد حققت انتصارا على الأرض و الميدان.

المحاضرة رقم 12: الأمير عبد القادر و تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة

مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري (1830-1847)

أ- الوضع العام لإقليم الغرب

ب- السمات القيادية للأمير عبد القادر

ت- التحاق الأمير عبد القادر بجيش والده محي الدين و بيعته .

ث- بداية و مراحل مقاومة الأمير عبد القادر للاستعمار الفرنسي (مع الإشارة إلى أشهر المواجهات و المعارك التي قادها ضد الاستعمار الفرنسي)

ج- الأمير عبد القادر و معاهدة ديميشال و التافنة

ح- الأمير و بناء الدولة الجزائرية المعاصرة

خ- نهاية مقاومة الأمير عبد القادر

أ- **الوضع العام لإقليم الغرب :** كان يتسم الإقليم الغربي للجزائر بفراغ سياسي و عدم الأمن ، نتيجة تخلي الباي " حسن " الذي كان يحكم ايالة الغرب عن السلطة يوم 7 جانفي 1831 ، و قد جاء هذا الاستسلام للعدو بعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831

و من جهة أخرى بعث حضر سكان تلمسان بوفد إلى السلطان المغربي " عبد الرحمن بن هشام " يطلبون منه الحماية و بعد تردد قبلها ، فأرسل في شهر نوفمبر 1830 خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان ، فاحتج الجنرال كلوزال على هذا التدخل في الجزائر و هدد المملكة المغربية ، إلا أن سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية و واصل عمله ، و عندما توسع نفوذ المغرب في الغرب الجزائري شعر الفرنسيون هذه المرة بالخطر الذي أصبح يهدد مصالحهم و نفوذهم في الجزائر ، فبعثت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج و أرسلت الى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 سفينتين حربيتين ، و أمام هذا الضغط الدبلوماسي و العسكري استسلم في الأخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي " لوي فليب " و سحب قواته من التراب الجزائري .

و لملء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزال إلى تعيين باي تونس حاكما على وهران بموجب الاتفاقية التي تمت بين الطرفين يوم 4 فيفري 1831 ، و هذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا . إلا أن قوات باي تونس انسحبت بسبب عدم وجود أية سلطة تدفع رواتبهم و كذلك بسبب استياء باي تونس من المبلغ المالي الكبير الذي يدفعه الى فرنسا. و هناك بعض الروايات تقول أن قوات باي تونس انسحبت لأنه وجد أمامه خزينة فارغة من الأموال.

و أمام هذا الوضع القائم في اقليم الغرب الجزائري إلتجأ سكانه إلى شيوخ الزوايا و لم يجدوا أفضل من الشيخ محي الدين كقائد يوحدهم و يقود المقاومة ، فطلبوا منه الامارة فرفضها و قبل الجهاد في سبيل الله .

ب- **بداية مقاومة الأمير عبد القادر كقائد في صفوف جيش والده :** شارك الأمير عبد القادر في الهجومات التي شنها والده محي الدين على العدو الفرنسي المتواجد بمدينة وهران ، و قد تمكن الشيخ محي الدين من مضايقة العدو ، و في هذه الفترة برزت شخصية ابنه " عبد القادر " ، حيث أظهر في المعارك التي شارك فيها مع والده شجاعته و بطولته أبهرت المجاهدين .

قاد محي الدين المجاهدين في مواجهة الفرنسيين و أعوانهم بوهران منذ 17 أفريل 1832 ، و كان أول هجوم قام به على سرية استطلاع فرنسية من مائة ضابط و جندي في منطقة و هران ملحقا بها بعض الخسائر . و في مطلع ماي من نفس السنة خاض محي الدين برفقة ابنه عبد القادر و بقية المجاهدين عددا من المعارك المجيدة ضد العدو هاجموا فيها على

بعض المعسكرات و الحصون الفرنسية بمدينة وهران ، و ألحقوا به هزائم نكراء أجبرتهم على الانسحاب ، و كان أهم هذه المعارك :

- **معركة خنق النطاح الأولى يوم 4 ماي 1832 :**
- **معركة خنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832 :**

أسند محي الدين في هذه المعركة الراية إلى ابنه عبد القادر الذي كان بطل المعركة ، حيث قسم جيشه إلى خمس فرق : فرقتين للقتال ، و فرقتين للدفاع ، و خامسة كمنت وراء العدو ، و فاجأته عند تقهقره إلى الوراء و أبادته عن آخره و استولت عن كل السلاح و الذخيرة .

- **معركة برج رأس العين : في الجهة الغربية من وهران**

ت- **بيعة الأمير عبد القادر :** رغم الانتصارات التي حققها الجزائريون في غرب البلاد ، لكنهم كانوا على يقين بأن المعركة مازالت طويلة مع العدو من جهة ، و أن الاقليم محتاج إلى شخص ينظم إدارته من جهة أخرى .

و لهذا عرضت قبائل و أعيان الغرب للمرة الثانية من الشيخ محي الدين الامارة بتاريخ 22 نوفمبر 1832 ، قائلين له " إلى متى يا محي الدين و نحن بلا قائد ؟ إلى متى و أنت واقف جامد متفرج على حيرتنا . أنت يا من يكفي إسمه فقط يجمع كل القلوب لتدعيم و تماسك القضية المشتركة..." و قد أضاف أحد الحاضرين قائلا لمحي الدين " عمت الفوضى في البلاد و العدو دخل المساجد ، و أحرق الكتب ، و هدم الدور على أصحابها ، و لابد من سلطان له سلطة شرعية ، و قد اخترناك لتحمل هذه المسؤولية."

لكن الشيخ محي الدين اعتذر مرة أخرى لكبر سنه و قال " أشكر ثقتكم و لكن أعتذر عن قبول هذا المنصب ، فأنا الآن أقوم بواجبي الديني و الوطني مجاهدا في سبيل الله كأي أحد منكم." و في ذات الوقت لم يمانع في ترشيح ابنه قائلا " إن كان رأيكم و ثقتكم بولدي عبد القادر كرأيكم بي فأنا متنازل له عن هذه البيعة ، فتشاوروا فيما بينكم ، و إذا عقدتم العزم فموعدنا في سهل غريس تحت شجرة الدردارة صباح الاثنين 27 نوفمبر 1832 ."و هذا ما حدث بالفعل فقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر في نفس المكان و في نفس الموعد ، بايعوه بالإمارة و لقبوه ب " ناصر الدين " و كانت هذه البيعة الأولى .

و بعد البيعة الأولى ، و قعت بيعة ثانية (البيعة العامة) في قصر الإمارة بمعسكر في 4 فيفري 1833 .

ث- **بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأميرا و قائدا للجهاد :** بمجرد مبايعته نادى الأمير عبد القادر نداء الجهاد ، فهرعوا إليه من كل حدب و صوب ، كان ناصر الدين يقوم بعمل مزدوج : توحيد صفوف الشعب و محاربة الفرنسيين ، و من أجل ذلك لعب دور القائد العسكري فقاوم الفرنسيين ، و لعب دور القاضي ففك المنازعات بين القبائل ، و لعب دور السياسي فألف بين الصفوف المتفرقة .

بدأ الأمير عبد القادر هجوماته العسكرية ضد الجيش الفرنسي ابتداء من يوم 4 فيفري 1833 ، و في حقيقة الأمر أن الأمير عبد القادر كان يحارب على جبهتين في آن واحد : فمن جهة كان يحارب فرنسا ، و من جهة كان يحارب القبائل المتمردة و يحاول أن يوحد الصفوف و يعيد الأمر إلى نصابه ، لأن الأمير كان يدرك أن نجاح مقاومته من فشلها متوقف على الولاء و الطاعة و احترام قرارات دولته ، خاصة و أن فرنسا كانت تراهن على فشل العرب في تنظيم أنفسهم و صفوفهم للنضال و المقاومة .

و في هذا الصدد يقول شارل هنري تشرشل " لقد آمن عبد القادر إيمانا عميقا بضرورة الاتحاد المطلق بين مواطنيه ، لكي يحقق لهم استقلالهم المشترك ، لقد قرر أن يقارع بسيفه الذين يشكون أو يحاولون أن يقاوموا سلطته ."

دوافع مقاومة الأمير عبد القادر :

1- بداية الانتشار الاستعماري في الغرب و ذلك بعد احتلال فرنسا لعاصمته وهران في 4 جانفي 1831 .

2- انتهاء السيادة العثمانية على الجزائر و سقوط الحكم التركي ، و اشتداد الحاجة إلى قيام سلطة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين .

3- الغيرة الشديدة على الاسلام و الوطن من عدوان و تدنيس المحتلين الظالمين ، و الحرص على صيانة أسس المجتمع الجزائري.

4- انتشار الفوضى في المناطق الغربية ، و حرص الأمير على توحيد القبائل و تنظيمها.

5- تخلي المغرب و الدولة العثمانية عن نجدة الجزائر في مواجهة العدوان .

ج- مراحل مقاومته : مرت مقاومة الأمير عبد القادر بثلاث مراجل نوجزها فيمايلي :

1- مرحلة الانطلاق و القوة (1832-1837): سميت هذه المرحلةبالانطلاق لأنها شهدت بداية مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي كأمير و قائد للجهاد ، و بداية بناء اللبنة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة هذا من جهة ، و وصفت من جهة أخرى هذه المرحلة بالقوة لأن ميزان القوة كان لصالح قوات الأمير ، حيث تفوق في أغلب المواجهات العسكرية بينه و بين العدو ، و انتهت هذه المرحلة بإبرام معاهدة التافنة التي اعترفت فيها فرنسا بدولته .

و فيما يلي نستعرض أهم الأحداث التي شهدتها هذه الفترة :

- اتخاذ معسكر عاصمة له ، اعترافا لدزر سكان منطقتها في انطلاق الجهاد المنظم.
- شرع الأمير في تشكيل حكومته في فيفري 1833 ، و تعيين القضاة ، و تنصيب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة ، كما شكل مجلسا للشورى من 11 عالما . علما أنه كان يدقق في اختيار خلفائه و أعوانه ، فكان يتحرى فيهم الكفاءة و القوة و التقوى . و بمرور الوقت أنشأ الأمير كذلك الدواوين و الإدارات المركزية .
- عمل الأمير على توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد و تحت سلطته ، و انتزاع من الفرنسيين كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم ، كما ألزمها بالتشبث بأرضها. و بالمقابل اعتبر المتعاونين معهم مرتدين عن الإسلام .
- مقاطعة المحتلين و محاصرة مراكزهم في وهران و مستغانم ، و حملهم على الخروج من معاقلهم لقتال بالداخل .
- الاستيلاء على ميناء أرزيو و استخدامه في توريد السلاح و الاتصال بالعالم الخارجي .و ذلك قبل أن تستولي عليه فرنسا .
- تنشيط مدن الداخل و السهول العليا كتلمسان و مليانة و المدية و قصر البخاري ...و جعلها محاور اقتصادية و اجتماعية و عسكرية للدولة.
- توسع نفوذ الأمير ليشمل كل الغرب الجزائري ماعدا وهران و مستغانم و أرزيو ، كما توغل في إقليم التيطري و استولى على مليانة في أفريل 1835 ، و على المدية في الشهر التالي ، و توسع شرقا فأحذ مدينة بسكرة .
- شرع في تكوين جيش نظامي وطني وفي

معاهدة ديمشال 1834 :

1- الظروف التي وقعت فيها معاهدة ديمشال :

تمكن الأمير عبد القادر في المرحلة الأولى من مقاومته من مواجهة الجيش الفرنسي و إجباره على التمسك و الاكتفاء بالبقاء في مدن : مستعانم ، أرزيو و وهران ، و قد عمد الأمير إلى فرض حصار اقتصادي على هذه المدن الثلاثة . و في هذا الصدد يذكر بعض المؤرخين أن نظام الحصار الذي ضربه عبد القادر كان تأشير مهلك على القوات الفرنسية " حتى أصبحوا كالطيور الكاسرة يبحثون و يقعون على طعامهم في المناطق الداخلية."

و في أواخر شهر أكتوبر 1833 قام رجل من قبيلة " البرجية " باختراق الحصار ، و قصد أرزيو لتموين قوات الاحتلال ، و عندما أتم صفقة البيع مع العدو طلب من الفرنسيين توفير حماية له للعودة إلى قبيلته ، خشية من جنود الأمير ، فكان له ذلك حيث أرسلوا معه ضابط و أربعة جنود ، و في طريقهم اتقض عليهم 100 فارس جزائري ، فقتلوا جنديا و أسروا الباقين في معسكر .

على إثر هذه الحادثة كتب الجنرال ديمشال إلى الأمير يطلب منه إطلاق سراح الجنود الأسرى ، و يقول ديمشال في رسالته " هؤلاء الجنود الأسرى سقطوا في كمين بينما كانوا يحمون عربيا ." فكان رد الأمير " ذلك ليس حجة في نظري ، فالحامون و المحمي كانوا سواء أعدائي ، و إن كل العرب الذين يشيدون بك هم ليسوا مؤمنين حقيقيين و جهلاء بواجبهم ."

و نظرا لشدة وطأة الحصار الاقتصادي المفروض على الفرنسيين في كل من وهران و مستغانم و أرزيو راسل الجنرال ديمشال الأمير لكن هذه المرة ليعرض عليه صراحة إجراء مقابلة معه و عقد معاهدة سلم تحقن دماء " شعبين فرضت عليهما العناية الإلاهية أن يتعايشا في ظل حكم واحد."

2- توقيع المعاهدة في 26 فيفري 1834:

اضطر الجنرال الفرنسي ديمشيل إلى ابرام معاهدة هدنة مع الأمير عبد القادر بتاريخ 26 فيفري 1834، الذي اعتبرها هذا الأخير فرصة لتوطيد مركزه و توسيع نفوذه خارج اقليمه ، و كذا حيازة اعتراف العدو به و بدولته . و أهم ما نصت هذه المعاهدة من بنود نوجزها فيمايلي :

- وقف القتال بين الطرفين .
- اعتراف ديميشيل بإمارة الأمير على كامل البلاد في المقابل اقراره لفرنسا على مدن : الجزائر ، وهران ، أرزيو و مستغانم.
- تعيين وكلاء من الأمير عبد القادر بوهران و مستغانم و أرزيو ، كي لا تقع خصومة بين الفرنسيين و العرب ، و بالمثل يقام وكيلا عن فرنسا ضابط فرنسي في معسكر .
- يلزم رد الأسرى من الفريقين.
- اعطاء الحرية كاملة للتجارة .
- تلتزم العرب بإرجاع كل من يفر إليهم من العسكر الفرنسي و يلتزم الفرنسيون بتسبيم كل من يفر إليهم من أهل الجرائم الهاربين من القصاص إلى وكلاء الأمير في المدن الثلاث.
- كل أوروبي سيعطى له إذا رغب في السفر داخل البلاد جواز سفر موقعا عليه من ممثلي الأمير و مصادقا عليه من القائد العام ، و بذلك يحصل على الحماية في جميع الأقاليم.

اعتبر الجنرال ديمشال توقيع هذه المعاهدة انتصارا دبلوماسيا ، حيث قال " إنني أعلن لكم استسلام إقليم وهران الذي يعتبر أكبر جزء في ولاية الجزائر و أكثرها محاربة ، الفضل في هذا الحادث الكبير يعود إلى الميزات التي امتازت بها القوات التي أقودها." أما الأمير عبد القادر فقد كان راضيا باعتبار أنه نجح في ارغام عدوه على طلب السلام ، و وضع شروطه الخاصة ، و لم يدفع أي جزية ، و لم توضع أي حدود على منطقته .

و فضلا عن ذلك كانت عند الأمير وثيقة سرية وقع عليها ديميشال تقضي باعطاء الامير الحرية الكاملة لشراء الأسلحة من غير الرجوع إلى فرنسا و كذا احتكاره للتجارة ، بمعنى أن ممثلي الأمير هم الوحيدون المسموح لهم بشراء و بيع القمح و الشعير و باقي الانتاج الفلاحي ، و هم كذلك الذين يحددون الأسعار في الأسواق . و بناء على ذلك أصدر الأمير عبد القادر أوامره بمنع العرب من بيع منتوجهم الفلاحي مهما كان نوعه إلى المسيحيين سواء كانوا من أهل البلاد أو أجانب.

و على صعيد آخر استغل الأمير هذه الهدنة ليلتف إلى أحوال البلاد ، فعمل جاهدا على تشييد الحصون ، و إقامة القلاع ، كما قام على صنع السلاح و انتاج الذخيرة الحربية ، و في ذات الوقت عمل على تنظيم صفوف الشعب و توحيد الجماهير حوله دفاعا عن الوطن و حماية للدين.

3- نقض المعاهدة :

و كعادتها قامت فرنسا بنقض معاهدة ديميشال ، فكما قال شكيب أرسلان " كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع أهالي الأقطار ...هي في الغالب محاط استراحة بين الحملة و الحملة ، و منازل استجمام بين مراحل الحرب لاغير ، بحيث لا تعدم عذرا لدى توفر القوة في نقض المعاهدات التي لم تبرمها منذ البداية إلا على نية النقض ."

حيث بمجرد عزل الحكومة الفرنسية الجنرال ديميشيل عن قيادة وهران في 15 جانفي 1835 ، و استبداله بالجنرال تريزيل (Trézel) حتى قام هذا الأخير بنقض المعاهدة ، و ذلك بعد اقدامه على توفير الحماية لقبائل الزمالة و الدوائر المتمردة على الأمير . و مقابل هذه الحماية اعترفت القبيلتان بسيادة فرنسا و التزامهما بدفع ضريبة سنوية .

يذكر أن هذه القبائل استأنفت المبادلات الودية مع الفرنسيين ، فهدد الأمير أن يعيدها بالقوة إلى تلمسان ، و لكن تلك القبائل فضلت الحماية الفرنسية في الحال على التخلي عن منتجاتها الزراعية و تجارتها ، و قد لبى الجنرال تريزل طلبهم . حيث كان يري أن فرنسا تضيع وقتا حين تترك الفرصة للأمير ليشتد سلطانه و يقوي نفوذه ، و عليه فلابد من محاربة الأمير و القضاء على قواته.

و اعتبر الأمير عبد القادر هذا العمل منافيا و مخالفا للاتفاق المبرم بين دولته و دولة فرنسا ، حيث ينص الاتفاق " أن لا تقبلوا من يلتجيء إليكم من العرب، كما أننا لا نقبل من يفر إلينا من الفرنسيين." و أجابت فرنسا أن المعاهدة لا تشمل أشخاص يريدون تغيير محل إقامتهم و إنما تشمل على كلمة " هارب " ، و أجاب الأمير " إن الحكومة الفرنسية ملزمة بأن ترد إلي كل مذنب إلتجأ إليها ، إذا كان رجلا واحدا ، فكيف بالعشيرة و القبيلة."

و بمجرد استئناف الطرفين الحرب ، خاض الأمير عبد القادر عدة معارك مع الجيش الفرنسي خسر في البعض منها و انتصر في البعض الآخر كمعركة التافنة المشهورة سنة 1836.

4- معاهدة التافنة (30 ماي 1837) :

اضطرت فرنسا أن تعقد صلحا آخر مع الأمير عبد القادر ، و كلفت هذه المرة الجنرال بيجو يوم 23 ماي 1836 بالتفاوض معه ، و ذلك لتحقيق الأغراض الآتية:

- التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.
- إعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال.
- فك الحصار عن المراكز الفرنسية.
- انتظار وصول الإمدادات العسكرية من فرنسا.

أما الأمير عبد القادر فقد قبل الهدنة قصد تحفيف معاناة الشعب الجزائري و التقاط الأنفاس و توسيع نفوذه في البلاد و حيازة اعتراف فرنسا به ، مما قد يكسبه الاعتراف الدولي مستقبلا و يؤكد اعتداء فرنسا على بلاده و شعبه . و قد أدت الاتصالات بين الطرفين إلى ابرام معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 و التي نصت على وجه الخصوص بمايلي:

- إن الأمير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينة الجزائر و سهل متيجة ، و على مدن وهران و مستغانم و أرزيو.
- على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على اقليم وهران و إقليم التيطري ، و القسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر من الناحية الشرقية. و لا يحق للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من أرض الجزائر.
- يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا البارود و الكبريت و سائر ما يحتاجه من الأسلحة.
- على فرنسا أن تتخلى للأمير على مدينة تلمسان و قلعة المشور و رشغون مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديما .و يتعهد الأمير بنقل الذخائر الحربية و الأمتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسية في تلمسان إلى وهران.
- تطبيق مبدأ التجارة الحرة بين الطرفين.

و بناء على هذه الشروط تكون هذه المعاهدة اعترافا صريحا من حكومة فرنسا بإمارة الأمير التي أصبحت تشمل ثلاثة أرباع مقاطعة الجزائر زيادة عن ولاية وهران كلها ، باستثناء المدن السالفة الذكر.

2- مرحلة تنظيم الدولة (1837-1839) (الهدوء المؤقت) :

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة و عاد لإصلاح حال بلاده و ترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع و تنظيم شؤون البلاد ، و كذا لتعزيز قواته العسكرية و تنظيم دولته من خلال الإصلاحات الإدارية و التنظيمات العسكرية الآتية:

1- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء ، نائب الرئيس ، وزير الخارجية، وزير الخزينة الخاصة و وزير الأوقاف ...و اتخذت هذه الوزارة من مدينة معسكر عاصمة لها.

3- التقسيم الإداري للبلاد إلى ثماني مقاطعات (ولايات) و كل ولاية يديرها خليفة ، و قسم الولاية إلى عدة دوائر و وضع على رأس كل دائرة قائدا يدعى برتبة آغا و تضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد ،و يتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ.

4- تنظيم الميزانية وفق مبدأ الزكاة و فرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد وتدعيم مدارس التعليم...الخ.

5- تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة و الذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء حتى يزيد من فاعلية جيشه.

6- تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.
7- ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول

3- مرحلة الضعف (1839-1847)حرب الابادة:

بادر المارشال فالي إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير ، فتوالت النكسات خاصة بعد أن انتهج الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة ، كما هي مفهومة من عبارة الحاكم العام الماريشال بيجو: " لن تحرثوا الأرض، و إذا حرثتموها فلن تزرعوها ،وإذا زرعتموها فلن تحصدوها ".

فلجأ الفرنسيون إلى الوحشية في هجومهم على المدنيين العزل فقتلوا النساء و الأطفال و الشيوخ ، و حرقوا القرى والمدن التي تساند الأمير.

و في هذه المرحلة بدأت الكفة ترجح لصالح العدو بعد استيلائه على عاصمة الأمير تاقدامت 1841، ثم سقوط الزمالة -عاصمة الأمير المتنقلة- سنة 1843 و على إثر ذلك اتجه الأمير إلى المغرب في أكتوبر عام 1843 الذي ناصره في أول الأمر ثم اضطر إلى التخلي عنه على إثر قصف الأسطول الفرنسي لمدينة(طنجة والصويرة)، و تحت وطأة الهجوم الفرنسي يضطر السلطان المغربي إلى طرد الأمير عبد القادر، بل و يتعهد للفرنسيين بالقبض عليه. الأمر الذي دفعه إلى العودة إلى الجزائر في سبتمبر 1845 محاولا تنظيم المقاومة من جديد .

اضطر الأمير عبد القادر إلى الإنسحاب إلى المغرب الأقصى أمام ضغط الجيش الفرنسي القوي طالبا من سلطان المغرب عبد الرحمن بن هاشم مساعدته محذرا اياه من سقوط الجزائر ، لأن ذلك سيؤدي إلى سقوط المغرب و بلدان إسلامية كثيرة تحت السيطرة الإستعمارية ، لكنه لم يستمع إلى نصائح الأمير متذرعا بمواجهة المتمردين ضد السلطان في المغرب، و كأن مواجهة الشعب الثائر ضده أفضل من مواجهة العدو الكافر الذي يهدد أرض الإسلام .

و أكثر من ذلك تعاون هذا السلطان مع الجيش الفرنسي لمحاصرة الأمير عبد القادر الذي اضطر للإستسلام في عام 1847 بعد محاصرته من طرف الجيش الفرنسي شرقا و جيش السلطان المغربي غربا و خيانة بعض القبائل له. و لم يستسلم الأمير إلا بعد أن اشترط على الجيش الفرنسي إعطاء عهد الأمان لجميع رفاقه وجنوده و السماح لهم بالإلتحاق بقبائلهم، أما هو فطلب السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية بمصر أو عكا بفلسطين، و إذا لم تقبل فرنسا بهذين الشرطين فإنه الجهاد حتى الموت. و كان هدف الأمير من ذلك هو إبقاء شعلة المقاومة ضد الإستعمار ملتهبة على يد رفاقه بعدما يضمن لهم الحياة، و هذا ما حدث بالفعل فيما بعد مما يدل على بعد نظر الأمير عبد القادر.